السيد سابق

من الإسلام

مِنَ الإسلام

السيد سابق

فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٩	معجزة الإسلام
٢٥	السنة
٣٣	رسالة الإسلام
٣٩	الإنسان فى الإسلام
٤٥	تربية النفس
٤٩	دستور المسلم
٥٧	دعائم المجتمع
٦٥	بين الإسلام والمدنية الحديثة
٧١	الطريق إلى النصر
٧٥	فى ذكرى الهجرة
٨١	العبرة فى غزوة بدر
٨٥	سبيل الكمال
٩١	الإيمان والعمل
٩٥	الإسلام والإحسان
٩٩	المجتمع المثالى
١٠٥	سلامة القلب
١١٣	الرحمة
١٢١	الصبر
١٢٩	الدين والنصيحة
١٣٧	أهل الجنة
١٤٣	التوسل
١٥١	حملة النور الإلهى
١٥٧	توجيهات
١٦٣	الدعوة الناجحة
١٦٩	حكمة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

« قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ، ويُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النورِ بِإِذْنِه ويَهْدِيهِمْ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

(سورة المائدة آية ١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لاغنى للإنسان عن دين ينير عقله بالعلم والعرفان ، ويهدى قلبه باليقين والإيمان ، ويثير طاقاته وقواه لتنشط فى الحق والخير . ويرسم له المثل الأعلى كى لا يخطىء الهدف أو يضل الطريق .

ولا نعلم دينا من الأديان استهدف هـــذه الغايات — ليصل بالإنسان إلى أقصى درجات السمو — غير الإسلام الذى أكمله الله ، وأتم به النعمة ، ورضيه للناس دينا .

ومن ثم كان الإسلام الكلمة الأخيرة لله ، فليس بعده حقيقة دينية مجهولة، أو هداية إلهية لم ينجل عنها الظلام .

كما كان المنهج الذى لا يستغنى عنه الفرد فى تهذيب نفسه ، ولا الجماعة فى سيرها نحو المدنية الفاضلة ، ولا الدولة، وهى تريد أن

ترسي قواعد حكمها على أساس من المناهج الصالحة، والسياسة العادلة.

ومع أن الإسلام بهذه المثابة إلا أنه — في هذه الآونة — لم يعن به العناية الحقة، ولم يهتم به الاهتمام الجدير به من الكشف عن حكمه، وتبيين أسراره وتوضيح حقائقه، وإظهار شرائعه وشعائره، فضلا عن أنه لم تتوافر الجهود في الدعاية له، والنهوض به، ولم توجد الجماعة المسلمة التي تتبناه وتتمثله في سلوكها وجميع تصرفاتها ليكون واقعا عمليا ومثلا حيا، يدعو إلى الاهتداء به، والاستظلال في ظله الوارف.

يضاف إلى هذا، تلك الحرب التي شنها عليه أعداؤه المتربصون به، والتي وضعت خطتها في إحكام وحزم

واتخذت هذه الحرب أساليب مختلفة . . .

من تلك الأساليب إثارة الريب، وإلقاء الشبهات حول التعاليم الإسلامية نفسها.

ومنها الإشادة بحضارة الغرب، والتنويه بالكشوف العلمية والتقدم الصناعي والرفاهية التي يعيش فيها الماديون.

ومنها الإغراء باللذائذ والشهوات وعرضها عرضا مثيرا يصرف عن الهدى ويوقع في الضلال.

فكان لهذه الحرب المعلنة من جانب، وللموقف السلبي الذى يقفه المسلمون من جانب آخر ، الأثر البعيد المدى فى زلزلة العقائد، وبلبلة الأفكار ، والتأرجح بين الخير والشر . والاندفاع وراء الهوى وشهوات الأنفس ، وحصر الاهتمام فى تحصيلها، دون رعاية لحق . أو احترام لمبدأ، أو خشية من الله .

وكان الشك والقلق والحيرة طابع الفترة التى يمر بها هذا الجيل من الناس .

وهذا كله يقتضى من القادة والمصلحين أن يبذلوا أقصى ما فى طاقاتهم ، ويهبوا أنفسهم للكشف عما فى الإسلام من سمو وجمال حتى يبطل زيف المخادعين ، وتتجلى الحقيقة ناصعة أمام من يبتغى أن يحقق إنسانيته ، ويأخذ طريقه إلى الله ، ليسعد بمعرفته ، وينعم برضاه .

وهذا الكتاب الذى نقدمه هو محاولة من تلك المحاولات التى تلقى ضوءا على بعض الجوانب الإسلامية لم نشأ أن نتوسع فيها حتى لا يشق ذلك على القارئ . وإنما أردنا أن تكون نظرات عابرة ، ودراسات مختصرة حول كثير من القضايا الإسلامية .

وستبدو من خلال هذه الدراسات الصورة المشرقة لدستور

الإسلام ونبي هذا الدين ، كما سيظهر سمو تعاليمه ورجحانها على جميع التعاليم والثقافات التي عرفها الناس ، وأن هذه التعاليم إنما هي ضرورة من ضرورات هذه الحياه ، لا يستغني عنها الإنسان في جميع أدوار حياته إلا إذا انسلخ من إنسانيته ، وتجرد من فضائله ، ورضى أن يكون حيوانا لا ضمير يهديه ولا قلب يرشده .

وبتقديم هذه المحاولة نكون قد أدينا بعض الدَّيْن لهذا الدين الذى منّ الله علينا به وقمنا بتبليغ دعوة الحق والخير .

« ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين »

السيد سابق

معجزة الإسلام

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر : وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلى . فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»

١ — ما بعث الله رسولا إلا وقد أيده بالآيات الكونية . والمعجزات المخالفة للسنن المعروفة للناس . والخارجة عن مقدور البشر ، ليكون إظهارها على يديه مع بشريته دليلا على أنه مرسل من عند الله .

فناقة صالح وعصا موسى ، وما ظهر على يدى عيسى من العجائب كلها من هذا القبيل .

٢ — وكانت هذه الآيات حسية يوم أن كان العقل الإنسانى فى الطَّوْرِ الذى لم يبلغ فيه الرشد بعد، يوم أن كانت هذه العجائب تبلغ من نفسية الجماهير مبلغاً لا تملك معه إلا الإذعان والتسليم .

٣ — فلما بدأ النوع الإنسانى يدخل فى سن الرشد . وبدأت الحياة العقلية تأخذ طريقها إلى الظهور والنماء لم تَعُدْ تلك العجائب هى الأدلة الوحيدة على صدق الرسالة .

ولم يَعُدْ من السهل على العقل أن يذعن لمجرد شئ رآه خارجا عن عرف الحياة .

إنه يريد شيئاً جديداً يتناسب والتطوّرَ الذى وصل إليه

يريد الإيمان الذى لا تخالطه الشكوك ، واليقين الذى يبدد ظلام الشبهات .

٤ ـــ وما كان الله ليمد النوع الانسانى فى طفولته بما يحفظ به حياته الروحية ، ثم يدعه بعد أن أخذ سبيله إلى النظر العقلى . والاستقلال الفكرى دون أن يقيم له من الأدلة مايتناسب والارتقاء الذى انتهى إليه

فكان أن بعث « محمداً صلى الله عليه وسلم » ، وأيده بالمعجزة العلمية والحجة العقلية ، وهو القرآن الكريم :

« قلْ لئنْ اجْتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتون بمثلهِ ولوْ كانَ بعضهمْ لبعضٍ ظهيراً » .

٥ ـــ وهذا القرآن ليس من تأليف أحد . إنما هو وحى الله أنزله على أكمل صورة من صور الوحى :

« وما كانَ لبشَرٍ أن يكلمه اللهُ إلا وحياً أو منْ وراءِ حجابٍ أو يُرسلَ رسولا فيوحِيَ بإذنِه ما يشاءُ إنهُ عليٌّ حكيم » .

فالآية تقرر أنواع الوحى الثلاثة :

(ا) « وحياً » ، أى إلقاء المعنى فى القلب ، المعبر عنه بالنَّفْث فى الرُّوع وفى الحديث :

« إن روح القدس نفثَ فى رُوعى أن نفساً لن تموت حتى

تستكمل رزقها . فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

(ب) الكلام من وراء حجاب ، وهو أن يسمع الموحى إليه كلام الله من حيث لا يراه ، كما سمع موسى عليه الصلاة والسلام النداء من وراء الشجرة . . .

« قال لأهله : امكثوا إنى آنستُ ناراً لعلى آتيكم منها بخبرٍ أو جذوةٍ منَ النارِ لعلكم تصطلون ، فلما أتاها نودِيَ من شاطىءِ الوادِ الأيمنِ فى البقعةِ المباركةِ منَ الشجرةِ أنْ يا موسى إنى أنا اللهُ رَبُّ العَالمينَ .

(ح) ما يلقيه ملك الوحى المرسل من الله إلى رسوله فيراه متمثلا بصورة رجل أو غير متمثل .

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها : أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله: كيف يأتيك الوحى؟

فقال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة[1] الجرس . وهو أشده على ، فيفصم[2] عنى . وقد وعيت[3] عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول :

قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه . وإن جبينه ليتفصد[4] عرقاً

وأكمل هذه الأنواع هو إرسال الرسول بالوحى .

وهذه الصورة هى التى نزل بها القرآن . فقد نزل بواسطة جبريل عليه السلام :

---

(١) أى صوته يشبه الصلصلة (٢) يقلع

(٣) حفظت (٤) يسيل

« وإنه لتنزيلُ ربِّ العالمينَ نزلَ به الرُّوحُ الأمينُ على قلبكَ لتكونَ من المنذرينَ بلسانٍ عربيٍ مُبين » .

« قل مَنْ كان عدوًّا لجبريلَ فإنهُ نزلهُ على قلبك بإذنِ اللهِ مصدقاً لما بينَ يديهِ وهدًى وبُشرَى للمؤمنينَ » .

٦ — جاء هذا الوحى ثورة على الباطل فى كل صورهِ ، وعلى الفساد فى جميع مظاهره ،

فثار على الخرافات التى لوثت العقول ، وعلى الانحراف التى شوهت الفطر كما ثار على العرف الفاسد الذى عطل حرية الفكر واستقلال الإرادة .

ثار على هذا كله ثورةً عاتية دمرت كل معالم الشر ، ومحت كل لون من ألوان الفساد . واستبدل بها الحقائق التى تهدى العقل وتنير الضمير ، وتسمو بالنفس لتصل إلى أقصى ما قدر لها من الكمال الإنسانى .

واستهدف تهذيب الفرد وتعاون الجماعة ، وإيجـــاد حكم أساسه الشورى ، وغايته حراسة دين الله ، وسياسة دنيا الناس ، والدعوة إلى هداية هذا الدين لتعم الأخوة الانسانية مما يعجل بسلام عام يعيش الناس فى ظله آمنين .

ولم تكن هذه الثورة تستهدف مصلحة ذاتية ولا منفعة وطنيه ،ولا ترجيح كفة جماعة حاكمة على كافة جماعة أخرى ولا إيثار مذهب على مذهب ، وإنما كانت لخير العالم كله . ومصلحة الناس جميعاً .

جاء هذا الوحى ليحل المشكلات التى أعضلت الناس قديما وحديثا

وليجيب على كل سؤال من هذه الأسئلة :

(١) ما هو الدين وما مبادؤه ؟

(٢) من هو الله ؟ وما صفاته ؟

(٣) ما هي الرسالة ؟ ومن هم الرسل ؟ وما وظائفهم ؟

(٤) ما ماهية الحياة بعد الموت ؟

(٥) ما هو الخير ، وما هو الشر ؟ وما كيفية الجزاء عليهما ؟

(٦) لماذا خلق الانسان ؟ وما مركزه فى الكون ؟

(٧) ما علاقة الإنسان بغيره ؟ وما علاقة الأمم والشعوب بعضها ببعض ؟

(٨) ما علاقة الرجل بالمرأة ؟

(٩) ما هي الثروة ، وما مصدرها ؟ وما هي كيفية توزيعها ؟

(١٠) ما هي الحياة الطيبة وما السبيل إليها ؟

وهكذا يمضى القرآن يضع أمام العقل الانسانى مئات المسائل التى لا يستغنى عنها فى دور العلم والفلسفة . والتى تعجز جميع عقول البشر عن الاحاطة بعشر معشارها . والتى يحتاج إليها فى قطع مرحـــلة هذه الحياة ، لتكون أعلاما هادية تجنبه الضلال فى شئون الدين ، والانحراف فى تقلبات الدنيا :

« ولوْ أنَّ ما فى الأرضِ من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدُّهُ من بعدهِ سبعةُ أبحرٍ ما نفِدَتْ كلماتُ اللهِ »

٧ — كل هذه المسائل جاءت فى أسلوب بلاغى رائع يملك على

المرء حسه ويستولى على مشاعره ، ويوقظ حواس الخير فيه مع بعده عن الاختلاف وسلامته من التناقض .

« ولو كانَ من عند غيرِ اللهِ لوجدوا فيهِ اختلافاً كثيراً »

٨ — إنه لم يعرف لكتاب من الكتب مثل ما لهذا « القرآن » من سمو الموضوع ، وسحر البيان، وقوة التأثير ، مما وجه عناية العلماء إلى الاهتمام بدراسته من حيث ألفاظه ، ومعانيه،وعقائده وآدابه.وأحكامه وتشريعاته ،

فخلقوا بهذه الدراسة ثروة ضخمة من العلم والأدب لا تزال — ولن تزال المادة الصالحة لقيام حضارة إنسانية . ينعم فيها البشر بحياة أفضل.وعيش أرغد .

« وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنتَ تدرِي ما الكتابُ ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا »

٩ — هذه هي المعجزة التي أيد الله بها نبيه الأمى ، والتي غير بها نفوساً ، وأحيا قلوباً ، وأنار بصائر ، وربى أمة ، وكون دولة فى سنى تعد على الأصابع .

إذا كان قلب العصا حية معجزة فإن تغيير العقول والقلوب أبلغ فى الاعجاز .

وإذا كان إحياء الميت من الخوارق التي أيد الله بها بعض أنبيائه فان إحياء أمة أميةٍ من الجهل والرذيلة وجعلها مصدر إشعاع وهداية هو الخارق الذى تتضاءل فى جوانبه جميع المعجزات :

اللهُ أكبرُ إن دينَ محمدٍ وكتابهُ أقوَى وأقوم قيلا
لاتذكرِ الكتبَ السوالفَ عنده طلعَ الصباحُ فأطفىء القنديلا

عظمة الرسول

١ — الاعتراف بالعجز عن وفاء الرسول حقه :

ليس الكلام عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مثل الكلام عن غيره من عظماء الرجال الذين كان لهم فضل على الإنسانية بتوجيهها وجهة الخير والحق والكمال .

والإنسان مهما أوتى من فصاحة الكلام، وقوة التعبير، وسعة الخيال ودقة التصوير . فما هو ببالغ الوفاء فى ناحية من النواحى التى برز فيها فضلا عن الاحاطة بكل النواحى التى فاق فيها غيره من سائر البشر .

٢ — نقطة التحول فى حياة الرسول :

جاء رسول الله إلى الدنيا كما يجىء أى إنسان ولبث فى قومه أربعين سنة ، لم يعرف فيها إلا برجاحة العقل ، سماحة الخلق . وما أن جاءه الوحى حتى استحال انسانا آخر كأنه ليس من أهل هذه الدنيا ، وتكشف عن قوى خارقة تصنع المعجزات وتأتى بالأعاجيب .

٣ — تجرده لله :

أجل ما كاد الوحى يتنزل عليه حتى أشرق قلبه بالإيمان فصار يرى الله فى كل شىء : يرى مظاهر جماله وجلاله ، ودلائل قدرته وعظمته وآثار حكمته ورحمته

يرى ذلك كله . فى نفسه وفى الطبيعة من حوله ، فى الأرض، وفى السماء

فى الحياة، وفى الموت ، فتنفعل نفسه بهذا كله فيهتف من أعماق قلبه . . .

« اللهم لك الحمد أنت قَيِّمُ السموات والأرض ومن فيهن .

ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن .

ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن .

ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق .

اللهم لك أسلمت،وبك آمنت،وعليك توكلت ، واليك أنبت،وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفر لى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت. أنت المقدم ،وأنت المؤخر ، لاإله إلا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بالله »

وتبقى هذه الحقيقة ماثلة فى ضميره ، وشاخصة بين عينيه فلا تفارقه فى ليله أو نهاره ،ولاتزايله فى نومه أو انتباهه،ولاتزيدعلى الأيام الا تألقا

وانها تتجلى فى زهده وورعه،وعزوفه عن متاع الدنيا وزهرتها. كما تبدو فى صلاته الخاشعة ، وذكره الدائم،ودعائه الحار،وصيامه المتواصل ولجئه إلى الله فى كل شىء حتى لتكون آخر كلمة يلفظها :

« إلى الرفيق الأعلى إلى الرفيق الأعلى » .

٤ — انسانيته :

وكما أضاء الوحى جوانب نفسه فعرف الحقيقة الكبرى فقد حرك كوامن الخير وعواطف النبل فيه كذلك .

فأصبح إنسانا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ، أصبح يحمل بين جنبيه صدرا رحيبا ، وقلبا رحيما . .

فهو متواضع يخفض جناحه لغيره . ويجالس الفقراء ، ويؤا كل المساكين،ويقبل عذر من اعتذر اليه ، لا يغلظ على أحد ، ولا يواجهه بما يكرهه .

يبدأ من لقيه بالسلام والمصافحة .

ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف .

وهو خصيب الوجه بسط الكف ، يكرم كل من دخل عليه حتى ربما بسط له ثوبه يجلسه عليه

يبدل من ذات نفسه لا يستأثر بشيء ،ولا يبيت عنده درهم ولا دينار :

يكرم أهل الفضل ،ويتألف أهل الشرف بالبر لهم .

وهو أبعد الناس غضبا . وأسرعهم رضا ، وأرحم الناس بالناس وأنفع الناس للناس . ووصفه علي كرم الله وجهه فقال :

كان أجود الناس كفا ،واوسع الناس صدرا،وأصدق الناس لهجة ، وأوفاهم ذمة ، وألينهم عريكة وأوسع الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وأكرمهم عشرة . من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته « لم أر قبله ولا بعده مثله .

وما سئل عن شيء قط إلا أعطاه » .

أرأيت غير محمد كل هذه الصفات التي تتألف بينها وأحكم

مرها ، وظهرت آثارها لتكون مثلا أعلى ونورا يضيء الناس ،
ويبصرهم جوانب الخير ، ونواحي الفضيلة إلى أن يرث الله والأرض
ومن عليها .

٥ ــ نجاحه في دعوته :

وإذا كان فراره إلى الله وتبتله إليه تبتيلا لم يسبقه فيه سابق ولم
يلحقه فيه لاحق . وإذا كانت إنسانيته العليا قد ألقت عليه محبة من كل
من عاشره :

فإن هذا لا يقاس بجانب ما قدمه للانسانية من دعوة هادية ردت
إليها الحياة وأنارت لها الطريق .

كانت هناك النصرانية واليهودية والوثنية وما كانت هذه كلها بمستطيعة
أن تنقذ العالم من الهوة التي كان قد أشرف عليها .
إنها ديانات قد أفسدتها الأوهام والخرافات واستحالت إلى طقوس
لا تهذب نفسا ولا ترفع رأسا ولا تفيد في دنيا ولا تنفع في دين .
واجه الرسول الدنيا وهي على ما هي عليه من الشقاء والفساد .
فكان كالفجر المشرق في أعقاب ليل مظلم

وكان ذلك إيذانا بميلاد جديد للبشرية . وإعلاما بأن روحا أخرى
سرت في أوصال العالم المنهار ليعيد اليه القوة والصحة والكمال .

دعا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الحياة الفاضلة التي تقوم على
أساس من العقائد الصحيحة والأخلاق الكريمة . والعبادات المخلصة
للانسان من عبودية غير الله

وتحمل فى ذلك أقسى مايتحمله إنسان وسلك كل سبيل من الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدلا لذى لاعنف فيه ، ولا غلظة معه .

وما زال يدعو فى قوة وصلابة وإيمان ، حتى نجح نجاحا لم يحظ به داعية قبله ولا بعده

لقد غير الأفكار والآراء ، والنظرة إلى الحياة وطرائق التفكير ليهتدى الإنسان إلى ربه ، وليعرف مركزه فى الوجود ومصيره الذى ينتظره ، وترك أمة مسلمة تدين بهذه المبادىء ،وتؤمن بها إيمانا دفعها إلى أن تبسط سلطانها فى الآفاق لتطارد الظلم والفساد وأسباب الحياة المعوجة .

تقيم قواعد العدالة والإحسان فى العالمين .

وإذا كان النجاح فى الدعوة دليل العظمة ، وإذا كان ما يقدمه الإنسان للحياة من خير دليل السمو النفسى . فإن ما أحرزه الرسول صلى الله عليه وسلم من نجاح . وما قدمه للانسانية من خير لا يضاهيه ولا يقاربه، بل ولا يقاس عليه عمل غيره من الهداة والمصلحين .

فإن مبادئه وأياديه لا تزال المنارة الهادية والأعلام الخفاقة التى يلتف حولها الملايين من جميع الأجناس منذ بعثه الله وستبقى ما بقيت هذه الحياة .

٦ — العلم والإنصاف يهديان إلى معرفة الرسول :

إن التبريز فى أية ناحية من هذه النواحى التى برز بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه النحو يعتبر معجزة فى حد ذاته فما بالك

بالتفوق فيها جميعا، والسمو بها إلى حد يعجز عنه تصور الفلاسفة، وتخيل الشعراء . ولسنا مبالغين ولا مغالين .

وإنما هو الواقع ينطق ، والحقائق تتكلم ، والتاريخ يسجل ،

ويوم أن تزول الغشاوة عن أبصار الجاهلين وتمحى الحمية عن قلوب المتعصبين تتجلى حقيقة الذات المحمدية متلألئة كالنجم الثاقب ومتوهجة كالشمس الساطعة فى الأفق الأعلى ، والمشرق البعيد .

٧ – واجب المسلمين :

إن على المسلمين الذين عرفوا رسولهم أن يحسنوا الاتباع له والاستقامة على هديه . ويسعوا فى تجديد شباب هذه الأمة ليبدلوا ضعفهم قوة ، وشتاتهم وحدة وعليهم أن يقوموا بحق الله :– يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ويعتصمون بحبله .

إذا كانت نسبتهم اليه صادقة وارتباطهم به وثيقا .

« ولوْ أنهمْ فعلوُا ما يوُعَظُونَ به لكانَ خيراً لهمْ وأشدَّ تثبيتاً وإذاً لآتيناهمْ منْ لدنَّا أجراً عظيماً ولَهديناهم صراطاً مستقيماً » .

السنة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« رحم الله خلفائى . قالوا : ومن خلفاؤك

يارسول الله؟ قال. الذين يتعلمون سنتى ويعلمونها

الناس » .

١ — يطلق لفظ السنة على الطريقة المسلوكة فى الدين ، سواء أكانت حسنة أم كانت سيئة . . .

وإلى هذا المعنى يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :

« من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامه ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة »

٢ — ويطلق لفظ السنة كذلك ويراد بها ما يقابل البدعة فيقال : فلان من أهل السنة أى من الجماعة الذين يطبقون تعاليم الإسلام وشرائعه ويلتزمونها .

٣ — وهى فى اصطلاح الفقهاء يقصد بها الأفعال العبادية التى فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن كان قد واظب عليها ولم يتركها فى العمر إلا مرة أو مرتين فهى السنة المؤكدة وإن كان لم يواظب عليها فهى السنة غير المؤكدة .

٤ ـ وتطلق السنة ويراد بها أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته.

فأقواله مثل قوله: لا يكن أحدكم إمَّعة. يقول: أنا مع الناس، إن أحسنوا أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم.

وأفعاله مثل: الأفعال التي تشرح بها كيفية الصلاة العملية وقال بعد أن بينها: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

ودعا ذات يوم بماء ليعلم أصحابه كيفية الوضوء عمليا فتوضأ فغسل أعضاءه مرة واحدة ثم قال: هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به، وتوضأ مرة أخرى فغسل أعضاءه مرتين وقال: هذا وضوء من يضاعف الله له الأجر...

وتوضأ مرة ثالثة فغسل أعضاءه ثلاثا ثم قال:

هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي فمن زاد على ذلك أو نقص فقد أساء وتعدى وظلم.

وأما تقريراته فهي أن يرى المسلم يفعل شيئا فيسكت عنه. أو يقع الفعل في عصره ويبلغه فيسكت عنه كذلك..

وكذلك يسمع الكلام أو يبلغه فيسكت عنه فيكون سكوته عنه مقرراً للفعل ومجوزاً له.

مثال ذلك: ما جاء عن عمرو بن العاص أنه كان في سرية فأصابته جنابة في ليلة شديدة البرد، فلم يستطع أن يغتسل فصلى بأصحابه.

فلما رجعوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ذكروا إليه فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : ياعمرو أصليت بأصحابك وأنت جنب ؟

فقال يا رسول الله : الله يقول : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما »

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكان تبسمه أقوى دلالة على الجواز من سكوته .

والسنة بهذا المعنى هي المصدر الثانى الذى يلى القرآن الكريم فى تبيان عقائد الاسلام ، وعباداته ، وآدابه وشرائعه ، وهى بهذا المعنى تبين الكتاب الكريم وتفسره ، كما أنها تستقل بتشريع الأحكام وتنص على تحليل الحلال ، وتحريم الحرام مما لم يرد فى القرآن له نص .

وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أو أتيت القرآن ومثله معه » أى أوتيت مثل القرآن فى تشريع الأحكام مما لم يلفظ به .

أما بيان السنة للقرآن فمن أمثلته :

١ — أن الله سبحانه وتعالى قال : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك وإن كانت واحدة فلها النصف » . .

فذكرت الآية أن للواحدة النصف ولما فوق الاثنتين الثلثين . . وسكتت عن نصيب الاثنتين . . .

فبينت السنة أن البنتين ترثان الثلثين إلحاقاً بما فوق الاثنتين . .

١ — وفى قول الله تعالى :

« وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » إشكال التبس على عدى بن حاتم .

فانه أخذ خيطاً أبيض وخيطا أسود ووضعهما عند رأسه فلم يتبين هذا من ذاك إلا بعد أن أشرق ضياء النهار ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم إنك لعريض القفا ، ألم أقل لك « من الفجر » إنما هو بياض النهار وسواد الليل » .

٣ ـ ويقول الله تعالى : وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا » .

التبس هذا على يعلى بن أمية فذهب إلى عمر فقال

ما بالنا نقصر الصلاة وقد أمنا والله يقول : إن خفتم ، ، ، .
فقال عمر:عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال :

« صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » .

فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مفهوم الشرط معطل .

٤ ـ والله يقول . « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » .
ولم تذكر أى اليدين تقطع ولا مم تقطع ولا فى مقدار المال المسروق الذى تقطع فيه .

فبينت السنة كل هذه الأمور ؟

هذا فيما يتصل بالتفسير والبيان ... أما استقلالها بتشريع الاحكام فمن أمثلته :

١ — يقول الله تعالى : « قُلْ لا أجدُ فيما أوحىَ إلى محرَّماً على طاعم يَطعَمُه إلا أن يكون ميتة . . » .

ثم ينهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير .

٢ — يقول الله تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم مِنَ الرضاعةِ وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم مِنْ نسائكم اللاتى دَخلتم بِهنَّ فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جُناحَ عليكُمْ وَحلائلُ أبنائكم الذينَ مِنْ أصلابِكمْ وَأنْ تجمعُوا بَين الأختين إلا مَاقدْ سَلفَ إنَّ اللهَ كانَ غفوراً رحيما » .

ثم ينهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ، وبين علة ذلك فيقول :

« إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » .

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام :

« يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب » .

. وهكذا نجد أن السنة ركن أساسى فى التشريع وأن المسلمين من عهد الصحابة فهموا هذا المعنى

فرسول الله صلى عليه وسلم يقول لمعاذ بم تقضى ؟

قال . أقضى بكتاب الله .

قال : فإن لم تجد ؟

قال : فبسنة رسول الله .

قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي لا آلو

. قال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله » .

وجاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت له إنك تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله . فأين ذلك في كتاب الله ؟ ، لقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده فقال لها : لو قرأته لوجدته : يقول الله تعالى :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

ومن ثم حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن تذاع سنته وأن تنشر تعاليمه لتكون نوراً يستضاء به لتتحقق القدوة في قول الله تعالى :

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

ولتتحقق هذه الآية : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ، ثم أداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع » .

ويقول : « بلغوا عني ولو آية » .

رسالة الإسلام
تستهدف حياة إنسانية رفيعة

إننا إذ نشيد بذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما نشيد بذكرى ميلاد أكرم انسان عرفه الناس، وأعظم شخصية قدمت الانسانية، أسمى المبادىء ، وأقوم النظم ، وأوضح المناهج . .

فنحن حينما نقلب صفحات التاريخ ونتقصى أخبار عظماء الرجال وقادة الفكر الذين كان لهم فى التاريخ دور خطير لا نجد أحدا منهم كان له مثل ما لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . .

فإنه صلوات الله وسلامه عليه لم يؤثر فى سير الحياة الانسانية فحسب، بل غيرها تغييراً شاملا، ووجهها وجهة الحق والهدى والرشاد .

لنستعرض من حياة هذا النبي الكريم ما نتعرف به صدق هذه الدعوى ولنقيم البرهان والحجة على أنه الرسول الذى أرسله الله رحمة للعالمين . .

ولنقصر الكلام على موضوع الدعوة وحسن تطبيقها وجمع الناس عليها . .

أما موضوع رسالته التى هتف بها فى العالمين ، وبشر بها فى الناس أجمعين .

فقد انتظمت كل ما يحتاج إليه البشر من اصلاح العقائد وإقامتها

على أساس من العقل، والفكر والنظر، في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء . .

فهو يقرأ على الناس .

« قل الحمدُ لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى آلله خيرٌ أمْ ما يشركونَ . أمْ من خلق السموات والأرضَ وأنزلَ لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائقَ ذات بهجة مَا كانَ لكم أن تنبتوا شجرَها أإلهٌ مع الله بل هم قومٌ يعدلونَ . أم من جعل الأرضَ قراراً وجعلَ خلالها أنهاراً وجعلَ لها رواسيَ وجعل بينَ البحرين حاجزاً أإلهٌ مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أم من يجيبُ المضطرَّ إذا دعاهُ ويكشف السوءَ ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ما تذكرون . أم من يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسلُ الرياح بشراً بين يدىْ رحمته أإلهٌ مع الله تعالى الله عما يشركونَ أمْ منْ يبدَأ الخلقَ ثم يعيده ومنْ يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ؟

كما انتظمت رسالته العبادات المزكية للأنفس ، والمطهرة للقلوب ، والمربية للارادات ..

وهذه العبادات إنما هى انتزاع للنفس من ماديات هذه الحياة . وتوجيهها إلى خالقها وفاطرها لتستمد منه النور والهدى ، وتستعين به على الاضطلاع بأمانة هذه الحياة .

« قلْ إنَّ صلاتى ونُسُكى ومحيايَ ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمِرتُ وأنا أولُ المسلمينَ »

والعقائد والعبادات يثمران السلوك المهذب ، والأدب العالى ، والخلق الرفيع .

ومن ثم كانت الأخلاق فى تعاليم هذا النبى جزءاً مكملا لهذه الرسالة ففى الحديث الصحيح : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ورسالة رسول الله عليه الصلاة والسلام ليست مجرد عقائد ولا خلق يرقى بالفرد وينهض به :

وإنما هى — إلى جانب ذلك — نظام يربط بين الإنسان وأخيه الإنسان، ويضع حدود الصلات بين الأفراد بعضهم ببعض فى التعاون وسائر المعاملات لدرء الخصومة ورفع النزاع .

كما يحدد علاقة هذه الأمة مع غيرها من الأمم ، مما يتصل بنظام السلم والحرب والمعاهدات وسائر ما يتعلق بالسياسة العادلة .

وغاية ذلك كله تحقيق العدل ، وإقامة الحق ، ورفع الظلم ، ودفع العدوان وإلى هذه الغاية تشير الآية الكريمة :

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتابَ والميزانَ ليقومَ الناسُ بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديدٌ ومنافعُ للناس، وليعلمَ اللهُ من ينصرهُ ورسلهُ بالغيب ، إن اللهَ قوىٌ عزيزٌ » .

هذه هى جملة التعاليم التى نادى بها رسول الله فى الناس ، وهى المنهج الصحيح لحياة انسانية رفيعة لا تتغير بتغير الزمان والمكان فمثلها مثل الشمس والهواء والغذاء ، لا غنى لأحد عنها ، ولا حياة لأحد بدونها .

« وكذلك أوحينا إليكَ روحا من أمرنا ما كنتَ تدرى

ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراطِ اللهِ الذى له ما فى السموات وما فى الأرض » .

لم تكن هذه التعاليم مجرد مبادىء تلقى على الناس ثم يقف الأمر بها عند هذا الحد . .

وإنما كانت هى الواقع العملى لصاحب هذه الرسالة .

فكان حبه لله وإخلاصه له وفناؤه فيه مما يعجز الإنسان عن تصويره لنستمع إليه فى مناجاته وهو يقول :

اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

فإذا نظرنا إلى خلقه ومعاملته للناس لا نجد وصفاً أحسن مما وصفته به عائشة رضى الله عنها حينما سئلت عنه خلقه فقالت : « كان خلقه القرآن » . .

ووصفه على كرم الله وجهه فقال : كان أجود الناس كفا ، وأوسع الناس صدراً وأصدق الناس لهجة ، وأوفاهم ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، ومن رآه بديهة هابه ، ومن خالطه مرة أحبه .

يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ، وما سئل عن شىء قط إلا أعطاه . .

أما سياسته فهى السياسة الرشيدة التى لم تعرف لأحد سواه ، حدث حذيفة أن المشركين أسروه هو وطائفة معه ، ثم أطلقوا سراحه على ألا يدخلوا فى حرب ضدهم .

فلما كانت غزوة بدر ـ والمسلمون فى قلة من العدد والعدد ـ تقدم حذيفة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك واستأذنه فى أن يشترك معه فى حربهم ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا بل نفى لهم ونستعين الله عليهم ..

وبهذه المبادىء وبتطبيقها وإخراجها إلى حيز العمل والتنفيذ استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون أمة ويربى جيلا ويلشىء مجتمعا فيه من أمثال ابى بكر وعلى وعمر وخالد ومعاذ .

عشرات الألوف كلهم دانوا بهذا الدين وآمنوا به إيمانا دفعهم إلى أن يبسطوا سلطانهم فى الآفاق ليطاردوا الظلم والفساد وأسباب الحياة المعوجة ، وليقيموا قواعد العدالة والإحسان فى العالمين .

ارأيت غير محمد اقام اسمى المبادىء وطبقها وجمع بها أمة فاقت كل الأمم فى دينها وفى دنياها ، ولا تزال هذه المبادىء إلى يومنا هذا المنارة الهادية والأعلام الخفاقة التى يلتف حولها الملايين من جميع الأجناس ..

اللهم إن هذا ان يتأتى إلا لمن اصطفيته نبيا وأرسلته للناس رسولا .

« اللهم وفقنا لمتابعته لنكون هداة مهديين ، اللهم امين ... »

الإنسان الذي يريده الإسلام

يتكيف سلوك الإنسان فى الحياة حسب نظرته إليها . .

فمن الناس من يرى أن الحياة هى هذا الواقع المادىّ الذى يدركه بصره . . ويقع عليه حسه .

وأن ما وراء ذلك من عالم الروح ، وما جاءت به أنبياء الله من التعاليم الإلهية،وما أخبرت به من عالم ماوراء الطبيعة ، فما هو إلا ضرب من التخيل .

ابتدعه الوهم، وحملت عليه الظروف القاسية التى كثيراً ما يضطر الإنسان إلى أن يخلق لنفسه عالما حالما يعيش فيه ويجد فيه مسلاة له ، وعزاء عما فاته من هناء . .

وهذا الصنف من الناس من شأنه أن يقبل على اللذائذ ، يشبع منها نهمه ، ويعب منها ما وسعه أن يعب ، دون أن يقيد بقيد ، أو يقف عند حد إلا بالقدر الذى يعينه على إشباع غرائزه ، وتحقيق آماله وأطماعه . .

وقديماً قالوا :

« وما هى إلا حياتنا الدنيا نموتُ ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر ».

ولا يختلف منطق هؤلاء ، لا فى القديم ، ولا فى الحديث .

فالنفس الإنسانية هى النفس الإنسانية فى كل زمان ومكان . .

وهاهى ذى أمم الحضارة المعاصرة ، ترى هذا المنطق ، وتنظر هذه النظرة، وتعيش فى حدود هذه الفكرة، فتسخر جميع القوى لتحصل على أكبر قسط من اللذة،وأوفى حظ من الشهوة ولو كان ذلك على حساب غيرها من الأمم والشعوب . .

فكم من عزيز أذلته، وكم من حق أضاعته ، وكم من دم سفكته ، وكم من عهد نقضته ، وكم من جرم اقترفته ؟ ! ؟ •

وصدق الله العظيم إذ يقول :

«فما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين . » .

وكل مانراه من الجرائم والمآثم، إنما هو نتاج هذا التفكير المادى وثمرة الكفر بذخائر النفس الإنسانية . وأثر من آثار التنكر للحق والاستهانة بالمثل . .

ومن ثمّ كانت هذه النظرة المادية للحياة ، نظرة من شأنها أن تباعد بين الإنسان وبين فطرته الخيرة ، وتسلخه من الطيبة والسماحة ، وتخلق منه عدواً لنفسه ، وللانسانية وتجعله شر ما يدب على الأرض . .

« إنَّ شرَّ الدوابِّ عندَ الله الصُّمُّ البُكمُ الذين لا يعقلونَ ، ولوْ علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون . . » .

فالآية تقرر أنهم فقدوا مصادر المعرفة وقوى الإدراك .

فهم صم عن الحق لا يستمعون إليه ، وبكم لا ينطقون به . لأن قلوبهم فى عمى عن نور الله . وفى ضلال عن هدايته

ما حظ الأصم من سماع الغناء الجميل؟وما نصيب الأعمى من المشاعل المضيئة . .؟

وإذا كان ذلك كذلك ، فإن على الإنسان أن يصحح نظرته إلى الحياة ، وأن يرتفع بها عن مستوى الشهوة واللذة . . ويسلك المسلك الذى يحقق إنسانيته ، ويسمو بها إلى الأفق الأعلى دون أن ينسى نصيبه من الدنيا ، وحظه المادى من هذه الحياة . .

وسبيل ذلك أن يتجرد من السطحية ، ويتغلغل فى فهم وجوده ومعرفة شخصيته .

وكل ما بين يديه إنما يأخذه برفق ليصل به إلى هذه الحقيقة . .

فالكون كله : سماؤه وأرضه ، مسخر لمنفعته ، ومذلل لخدمته ، وجار على السنن التى تعينه على تحقيق أهدافه الكبرى .

وليس فيه شىء يتعارض وكماله الذى يسعى فى تحقيقه ويجد فى الوصول إليه . .

« الله الذى خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إنّ الإنسان لظلوم كفار » .

وفى هذا تحقيق لسيادة الإنسان على هذا الكون المادى .

وهذه السيادة تقضى أن يجعلها أبداً خاضعة له ، مسخرة لعقله وإرادته ، لا أن تستعبده ، ولا أن تستذله ، فتنقلب الأوضاع ، ويصبح الخادم مخدوما ، والعبد سيداً . .

وفى هذا ما فيه من المهانة ، بله تغيير خلق الله . .

وصيحات الحق تنبعث من خلال كتاب الله عز وجل تحرك فيه إنسانيته ، وتكشف له عن مواهب الله التي أودعه إياها ليصل بها إلى أقصى ما قدر له من كمال . .

فوحيُ الله سبحانه يقرر أنه خلق الإنسان بيديه تكريماً له وتشريفاً ونفخ فيه من روحه ليبق مصباح الحياة فيه دائماً لا ينطفىء . .

وأفاض عليه من الاستعداد العقلي ما يصل به إلى الذروة في العلم والمعرفة .

وهيأ نفسه لتلقي كلمة الله والقيام بها ليستقر النظام الذي يريده الله لإسعاده . .

وجعله خليفة عنه في إقامة الحق والعدل ، ولم يجعل لكماله غاية سوى لقائه والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم :

« ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

« وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفةً ، قالوا أتجعلُ فيها من يفسد فيها ويسفك الدماءَ ، ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ؟ ، قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدمَ الأسماءَ كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتمْ صادقين ، قالوا سبحانك لا علمَ لنا إلا ما علمتنا إنك أنتَ العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم : إني أعلمُ غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدُون وما كنتم تكتمون .

وما كان الله ليعلى من شأن الإنسان ويجعله سيداً لهذا الوجود ، ويحرك فيه هذه المعانى إلا ليكشف له عن حكمة وجوده وسر الوظيفة التى خلق من أجلها فيمضى إلى غايته فى قوة دون تريث أو استرخاء .

وهذه الغاية هى حمل أمانة هذه الحياة والاضطلاع بتبعاتها . .

« إنا عرَضنا الأمانةَ على السمٰوات والأرض والجبال فأبينَ أنْ يحمِلنها وأشفقْن منها وحملها الإنسانُ إنه كانَ ظلوماً جهُولا ».

وكثيراً ما تنحرف الفطرة عن هذه الغاية وتضل العقول عن إدراكها.

إما بسبب البيئة الفاسدة ، أو الجهل القاتل أو التعصب الأعمى ،أو إيثاراً اللذة العاجلة ، مما ينشأ عنه امتهان كرامة الإنسان ونسيان قيمته العليا . . .

ومن ثم كانت تعاليم الإسلام هى العاصمة للعقول من الضلال والحامية للفطر من الإنحراف .

فإذا ترسمنا خطى الإسلام واتبعنا منهجه القويم ،تحققت لنا الغايات الكبرى من تحقيق إنسانيتنا فى هذه الحياة .

وكان لنا الحس المرهف،والضمير الحى،والعاطفة الجياشة ، والإرادة المصممة ، واليد القوية،وتوافرت لدينا عناصر البناء الصحيح لأمة تريد أن تسهم بنصيب وافر فى تدعيم روابط الأخوة وتقوية دعائم العدل والسلام .

تربية تنفس

قال تعالى : « ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

الإسلام يضع اللبنة الأولى فى بناء المجتمع الصحيح ويخطو الخطوة التى لا بد منها فى إقامة صرح الأمة على أساس متين، فيحمل الفرد تبعة تقويم نفسه ويعتبره مسؤلا عن إصلاحها وتهذيبها : « بل الإنسان على نفسه بصيرة »

وله فى سبيل تحقيق هذه الغاية وسائل عملية وأساليب متعدده :

(١) فهو يوجب العلم ويفرضه على كل من ينتسب إليه: « طلب العلم فريضة على كل مسلم » : « انما يخشى الله من عباده العلماء »

والعلم الذى يوجبه الإسلام ليس هو العلم الجاف ولا المسائل المعقدة وإنما هو العلم الهادى الذى يورث الخشية وينير للانسان سبيل الهدى والرشاد وينزع به عن الهوى والضلال.

والعلم بهذا المعنى يرادف كلمة التربية التى يقصد بها تكوين النفس الإنسانية لتكون على حالة من السمو والكمال تتناسب مع ما أعد له الإنسان من استخلاف الله له فى الأرض .

وكل علم لا يرقى بالنفس ولا ينظم من سلوكها فهو كالشجرة التى لا تثمر ثمرا ولا تمد ظلا فهى بالقطع أولى منها بالبقاء .

وقد كان نبى الإسلام صلوات الله وسلامه عليه يستعيذ من العلم الذى لا ينفع كما يستعيذ من البلاء سواء بسواء. فكان يدعو : « اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ، ونفس لا تشبع ، ودعوة لا يستجاب لها . »

(٢) والقدوة الطيبة والأسوة الحسنة لها شأن كبير وأثر لا يقل أهمية عن العلم ذاته إذ هى علم هاد يشير إلى المثل الحى والفضيلة المجسمة وعرض مشاهد للنماذج البشرية الصالحة التى يراد محاكاتها والاقتداء بها ، وقد أمر الله نبيه أن يقتدى برسل الله الذين تقدموه فقال : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » وجعل للمسلمين مثلا أعلى وهو رسول الله الذى جمع ما تفرق فى غيره من خلال الخير فقال : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »

(٣) واختيار الأصدقاء الذين يعينون على الخير ويرشدون إليه مما يهتم له الإسلام ويحرص عليه أشد الحرص إذ الإنسان يستفيد بمعاشرة الأصدقاء كثيرا مما هو فى حاجة إليه من جميل الخصال وتهذيب السلوك وصقل النفس ، وقد أرشد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إلى ما ينبغى أن يكون عليه الصديق فقال : « صاحبوا من تذكركم الله رؤيته ويزيد فى علمكم منطقه »

ويبين أن واجبه يفرض عليه أن يكون قوة عاملة تضاف إلى قوة أخيه فى العمل ويقتضيه أن يكون دائما حافزا إذا لاحظ شيئا من الغفلة أو الكسل فقال « وخير الإخوان من إذا ذكرت أعانك وإذا نسيت ذكرك »

(٤) والبيئة هى التى تصوغ الإنسان فى قالبها وتطبعه بطابعها ، فكل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ،

« وقد عمل الإسلام جاهدا على أن تكون البيئة التى ينشأ فيها الفرد بيئة نقية نقية تتحقق فيها الفضائل ويحترم فيها المعروف وتتناول فيها الآداب على أنها أوضاع مقررة وعرف عام. دعت امرأة ولدا لها فقالت له: تعال أعطك تمرة، فسألها رسول الله هل ستعطيه التمرة كما قالت أم أنها تذكر ذلك ليحضر إليها؟ فأجابت أنها ستعطيه التمرة وأنها صادقة فى قولها. ثم سألت. أيعد ذلك كذبا لو لم تعطه؟ فقال « نعم، إن الله يكتب الكذبة والكذيبة »

(٥) ورقابة الرأى العام على كل فرد من أفراد الأمة لها أثرها فى المحافظة على سلامة المجتمع وعادات التقاليد الصالحة التى تحفظ كيان الأمة وتبقى على مشخصاتها.

والإسلام يوجب هذه الرقابة ويجعل كل فرد مسؤلا بحكم عقد الولاية الذى جمع الله به بين المؤمنين: « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »، وخيرية هذه الأمة بسبب محافظتها على هذه الرقابة: « كنتم خير امة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ».

هذه هى القواعد الأساسية التى أرشد إليها الإسلام وجعلها طريقا إلى تهذيب النفوس وتقويم السلوك لتحقق للفرد العلاج ولتصل الجماعة إلى أقصى ما قدر لها من النجاح.

دستور الإسلام

عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

« من أصبح وهمه الدنيـــا فليس من الله في شيء . ومن لم يهتم بالمسلمين فليس منهم . ومن رضي الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا » .

يرشد الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى أمور ثلاثة هي قوام حياة المسلم ودستوره الذي يجب عليه أن يترسمه ويعيش في ظله .

الأمر الأول :

أن لا يُعنى بأمر الدنيا ولا يهتم بها اهتماماً يصرفه عن القيم الروحية من الإيمان والعبادة والفكر والذكر والخلق الفاضل والأدب الرفيع .

فإن الغاية من الحياة هي تزكية النفس عن طريق معرفة الله وعبادته ، وتقويةُ العلاقات الطيبة بين الناس عن طريق الحب والعدل والمؤاخاة .

وليس ثمة شك في أن الاهتمام بالشهوات والاستجابة للأهواء والتوسع في لذائذ الجسد والافتتان بهـا من شأنه أن يعرض النفس لانتزاع ادوائها وينحرف بهـا عن معاني الخير إلى رذائل الصفات ومساوىء الأخلاق .

وحينما تنظر إلى التطاحن والصراع بين الأمم والشعوب ندرك لأول وهلة أن سبب ذلك يرجع إلى الأنانية والحرص على نيل أكبر قسط من الأسلاب والمتع والغنائم .

ولهذا جاء الإسلام يحذر من التكالب على الدنيا والتزهيد منها فيقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » وكثيراً ما كان ينتهز الرسول صلى الله عليه وسلم الفرص ليبين لأصحابه حقيقة الدنيا ولا يدعها تمر دون أن يلفت إليها الأنظار .

مر هو وأصحابه يوماً بشاة ميتة فقال لهم :

أرأيتم هذه هانت على أهلها ؟

قالوا : ومن هوانها ألقوها يارسول الله .

فقال : للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها . »

وقد أطال القرآن الكلام عن الدنيا مبيناً حقيقتها وضاربا لها الأمثال زيادة في البيان . « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة »

« إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاماً » .

وطبعي أن الإسلام حينما أوضح هذا المعنى لم يكن يقصد إلا ليحمي أتباعه من الشر ويصونهم من الفساد ويحفظ قلوبهم من أن يخالطها

ما يذهب بحلاوة الإيمان ونور العرفان .

ولقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى فقال :

« والله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » .

ولم يكن يقصد أبداً أن يدع أتباعه الدنيا ويعتزلوا الحياة ويعيشوا كما يعيش الرهبان ، فكتابه الكريم يقول :

« وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه »

« الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها »

فتسخير هذه النعم والتفضل بها يقتضى استغلالها والانتفاع بها على خير وجه مما يتنافى مع الاعتزال والرهبانية التى تشل حركة الحياة وتوقف سيرها .

ومما ينبغى التنبيه إليه أن بعض العلماء فهم النصوص فهماً خاطئاً فدعوا إلى التزهيد فى الدنيا وتحريم ما أباحه الله من الطيبات من الرزق ، وتبعهم كثير من الكسالى والمتجرين باسم الدين فتركوا العمل وقعدوا عن اقتحام الصعاب فى سبيل العيش الحلال .

فلحقهم الفقر وصحبتهم المسكنة ، فكانوا صوراً شائهة للاسلام مما

تسبب عنه أن ارتفع بعض الأصوات المنكرة يقول :

« إن الدين لا يصلح لمسايرة الحياة وأنه يقف حجر عثرة في طريق المدنية والتقدم » .

إننا نكرر على المسلمين أن يجمعوا بين الدين والدنيا وبين الروح والمادة ليأخذوا الخير من أطرافه ويعيشوا عيشة السعداء في هذه الحياة وينالوا الفوز في الحياة الآخرة ، وأن السعي والعمل مما يوجبه الإسلام وأن أعظم تعريف للزهد هو ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم :

« الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يدي الله ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بهـــا أرغب فيها لو أنها أبقيت لك » .

الأمر الثاني :

الاهتمام بأمر المسلمين والعناية بشأنهم والدفاع عنهم والذود عن حياضهم والعمل الدائب على ترقية حاضرهم وإعـــدادهم لمستقبل أعز وأكرم .

فإن هذا مما يقتضيه الإيمان وتوجيه الأخوة في الدين

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ومن مظاهر هذا الاهتمام أن لا يدع المسلم أخاه للأحداث تتحكم فيه

وتنال منه، بل يبذل له من ذات نفسه ومن ذات يده ليخلصه من كل أذى يصيبه .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره »

ويقول : أنصر أخاك ظالماً أو مظلوما . قيل يارسول الله عرفنا كيف ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره » .

وعلى المسلم أن يحفظ عرض أخيه ويصون حرمته فى حضوره أو غيبته ما استطاع إلى ذلك سبيلا يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« مامن امرىء يخذل إمرءاً مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته .

وما من امرىء ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته » .

ويوم أن كان المسلمون يحسون هـــذا الإحساس ويشعرون بهذا الشعور ويطبقون هذه التعاليم كانت روابطهم أقوى من أن تحل، ووحدتهم أعصى من أن ينال منها عدو .

فلما غفلوا عن هذا المعنى بدأ الضعف يدب فى صفوفهم وأخذت الفرقة تعمل عملها مما نجم عنه أن أصبحت بلادهم نهبا للاستعمار ومناطق نفوذ لمن لا يرقبون فيهم إلاً ولا ذمة .

وكان أن انقسم الوطن الاسلامى أشلاء ممزعة وأجزاء موزعة .

وبدلا من أن تكون الأخوة الإسلامية والوحدة الدينية هى الرباط القوى بين هذه الشعوب الكثيرة العدد الواسعة الرقعة ، الغنية بما وهب الله لها من ثروات حدثت فيهم بدعة الوطنية المحدودة المفرقة وما هى إلا نعرة من نعرات الجاهلية ودعوة من دعوات العصبية التى حاربها الرسول صلى الله عليه وسلم :

فقال « ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية » .

ولئن كان ذلك جائزا بين الأمم الكافرة التى لا تجد من الروابط الأدبية ما يجمع شتاتها غير هذه الحماقات فما يجوز ذلك بين شعوب تظللها كلمة التوحيد .

ويقول نبيها : « ... وكونوا عباد الله إخوانا » ، ويقول : « ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

الأمر الثالث : أن لا يقبل المسلم الذل ولا يقيم على الضيم ولا يصبر على الهوان ولا يستسلم للمكروه يناله بل يعتصم بالله ويتقوى بالحق يعتز بالمبادىء العليا التى يدين بها .

وليست العزة إلا ثمرة من ثمار الإيمان وأثراً من آثاره والله يقول:

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

وما كان المؤمن ليهن أو ليضعف وهو الموصول بالله القوى .

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين »

« إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده » .

والإيمان ينير للنفس جوانب الحياة فينكشف لها أن الأمور بيد الله وأن ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وكل شيء عنده بمقدار .

وما المنصب والجاه والمال وغيرها مما يتسابق الناس إليه ويحرصون عليه إلا من الله الذى بيده الملك وله كل شيء .

فلاتخادع ولا تداهن ولا تذل ولا تسلك غير السبل القويمة والطرق المشروعة ولا تطلب الأمور إلا بعزة وشمم .

وإلى هذا يشير الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول : « إن روح القدس نفث فى رُوعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

وإذا لم يشرق الايمان على النفس ويفيض عليها هذه المعارف فهو إيمان مدخول لايستحق صاحبه أن ينسب إلى رسول الله ، ولا يحسب فى زمرة المؤمنين .

ألم تر إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « ومن رضى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا » .

هذه هى الأصول الثلاثة التى جعلها الاسلام دستوراً للمسلمين يقيمون حياتهم عليها ويعيشون فى ظلها ليصلوا إلى خيرى الدنيا والآخرة

فهل لهم أن يستمسكوا بها ويحرصوا عليها ؟

دعائم المجتمع المسلم

(الناس عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله)

« حديث كريم »

يهتم الإسلام بالمجتمع ويضع الأسس الثابتة التي يقوم عليها بنيانه ، والخطوط العريضة التي تصون كيانه ، وتحفظه من التصدع والسقوط .

إنه يربط المسلمين جميعاً بعضهم ببعض برباط هو أوثق الروابط ، وهو رباط الأخوة الدينية التي تنمحي أمامها جميع الفوارق من نسب عريق ومال وفير وجاه عريض ، وغير ذلك مما درج الناس على اعتباره مميزاً بعضهم عن بعض .

فأي إنسان ، مهما كان عريق النسب ، أو كثير المال أو كان له شأن في بيئته ، فهو أخ لمن دونه نسباً ، وأقل منه مالا ، وأحط شأناً في المنزلة الاجتماعية .

وهذه الأخوة تكتسب بمجرد الدخول في دين الإسلام .

يقول الله تعالى :

«فإنْ تابوُا وأقاموُا الصلاةَ وآتوُا الزكاة فإخوانكمْ في الدينِ »

فالقرآن يعلن أن المشركين وغيرهم من الكفرة ينتظمون في سلك هذا الإخاء الديني بمجرد الدخول في هذا الدين .

وهذا الإخاء يقتضي تبعات وحقوقاً ، وليس هو إخاء عقيما لا ثمرة له في الخارج ، ولا أثر له في الواقع .

فهو يقتضي أن يهتم كل أخ بأمر أخيه ، وأن يعنى بشأنه ، والدفاع عنه

والذياد عن حياضه، والعمل الدائب على ترقية حاضره ، وإعداده لمستقبل أعز وأكرم . .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ومن مظاهر هذا الاهتمام ألا يدع المسلم أخاه للأحداث تتحكم فيه وتنال منه . بل عليه أن يبذل له من ذات يده ، وأن يدفع عنه كل أذى يصيبه أو شر يقع عليه .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » .

وقال عليه السلام . « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قيل يا رسول الله ، عرفنا كيف ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً ؟ قال: « تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره » .

ومن حق المسلم على المسلم أن يحفظ عرضه ويصون حرمته فى حضوره أو غيبته ما استطاع إلى ذلك سبيلا

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من امرىء يخذل امرأً مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته ، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصر مسلماً فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته » .

وهكذا يمضى الإسلام فى تقرير هـــذه الحقوق وإيجادها لتكون دستوراً تلتقى الجماعة المسلمة عنده وتعتصم به .

على أن الإسلام لا يكون إسلاما حقيقيا حتى تمتلىء به النفس فيكون كل ما يصدر عنها إنمـا هو قبس من نوره الوضاء ، وفيض من ينابيعه الصافية .

مثله فى ذلك مثل الطعام بالنسبة للأجسام .

فهو يتفاعل داخل الجسم ويتحول إلى قوى وطاقات ونشاط يظهر أثره ويبرز للعيان .

وجملة التعـاليم الإسلامية تستهدف تحقيق الخلق الصـالح والأدب الرفيع وإشاعة الرحمة والبر والإحسان .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ومن أجل هـذا المعنى نجد الارتباط الوثيق بين عقيدة الإسلام وتشريعاته وبين هذا المعنى .

فكلها وسائل لصقل النفس وتهذيبها وإقامتها على الصراط السوى .

فالعقيدة من إيمانـ بالله وتقديس له من شأنها أن توقظ حواس الخير ، وتربى ملـكة المراقبة، وتبعث على طلب معالى الأمور وأشرافها، وتنأى بالإنسان عن محقرات الأمور وسفاسف الأعمال .

والله سبحـانه هو الـكمال المطلق ، والرحمة الواسعة ولا يدخل فى حظيرة قدسه إلا من تخلق بأخلاقه واتصف بصفاته .

وفى الأثر : « تخلقوا بأخلاق الله » .

وجميع العبادات، والمعاملات، وكل أوامر الله ونواهيه إنما تتجه هذا الاتجاه وتدور فى هذا الفلك .

« لقد أرسلنا رسلنا بالبيناتِ وأنزلنا معهمُ الكتابَ والميزانَ ليقومَ الناسُ بالقسطِ » .

فالآية تقرر أن الغاية من إنزال الكتب وإرسال الرسل إقامة الحق والعدل فى الأرض .

ولا يدع الإسلام أى ناحية من نواحى الخلق الحسن إلا ويدعو إليها بقوة ويحث عليها فى حماس .

ومقياس الإيمان . . الخلق : يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم » — رواه الترمذى بإسناد حسن عن أبى هريرة .

وقد يجهد المرء نفسه فى عبادة يستمد منها دوام الثواب بحيث لا ينقطع لا فى ليل ولا فى نهار ، فيديم صيام النهار فلا يفطر ، وقيام الليل فلا يفتر .

ولا ريب فى أن المواظبة على هذا والمثابرة عليه من عمل الصديقين . وليس كل إنسان بقادر عليه ولا مستطيع له .

ولكن الإسلام يفتح باب هذا الخير من طريق الخلق فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم .

« إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » ـــ رواه أبو داود عن عائشة .

وتفاضل الناس واقتسامهم المنازل والدرجات عند الله بحسب الحالة الخلقية التي وصلوا إليها . يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ، وإن كان محقاً ، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » ـ رواه أبو داود

وإنما يثقل ميزان الفرد أو يخف حسب قيمته الخلقية ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذيء » ـــ رواه الترمذي عن أبي الدرداء بإسناد صحيح .

والخلق إنما يصدر عن نفس سمحة وضمير حي فكما يبدو حسنه في الأمر الكبير يتجلى كذلك في الأمر الذي يبدو وكأنه لا شأن له .

فالإحسان إلى المسيء خلق حسن والابتسامة في وجه الصديق خلق حسن كذلك .

وإن النفس الفاضلة التي تنطلق على سجيتها .. لا تفرق بين هذا ولا بين ذلك

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لاتحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلق أخاك بوجه طليق » — رواه مسلم عن أبي ذر .

ونار الله الموقدة التي هي شديدة الأوار والتي وقودها الناس والحجارة إنما يطفئها نصف تمرة أو كلمة طيبة .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » . رواه البخاري ومسلم عن عدى ابن حاتم .

وغفران الله يحيط بالمذنب الدنس إذا تفجر في قلبه نبع البر والرحمة .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما كلب يطيف (يدور) بركية (البئر) قد يكاد يقتله العطش . إذ رأته بغى من بغايا بنى إسرائيل فنزعت موقها (الخف — الجزمة) فاستقت له به فسقته فغفر لها به » .

ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين رواه مسلم .

والإحسان هو غاية من الغايات التي يريد الإسلام أن يجعلها جزءا من الطبيعة الإنسانية بحيث يصدر الإنسان عنها في كل ما يأتى وما يذر .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، ليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » .

رواه مسلم عن أبي يعلى . .

وإدخال السرور على الناس والاهتمام بضروراتهم من أقرب القربات.

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال : إدخال السرور على المؤمن . قيل : وما إدخال السرور على المؤمن . قال: سد جوعته وفك كربته وقضاء دينه .

وهكذا يمضي الإسلام يضع الأسس الأدبية لحياة راقية رفيعة يمكن أن يكون عنوانها تلك الحكمة النبوية المشرقة « الناس عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله . .

بين الاسلام والمدنية . .

إن من المتفق عليه أن من نقائص المدنية الحديثة :

١ — إهدار القيم الروحية مما تسبب عنه تدهور الأخلاق ونضوب معين الفضائل ،

٢ — اعتبار القوة ، وتقديسها إلى حد العبادة . دون مراعاة الحق والعدل .

٣ — التهديد بالحرب واختراع أدوات التدمير والتخريب . مما جعل الناس يعيشون في جو يسوده القلق والاضطراب وهذه النقائص هي نفسها نقائص الجاهلية وقد كانت مثار فساد كبير في المجتمع البشري مما اقتضى جهوداً كبيرة من رسل الله وأنبيائه .

ولقد جاء الإسلام ليمنع هذه المفاسد . وليبني مدنية راقية تتفق مع رقي الإنسان الفكري وتنسجم مع العقل . فدعا إلى الإصلاح ، ونهى عن الفساد في الأرض .

فقرر أن الهلاك لا يحل بالأمة ، وهي صالحة مصلحة . تؤمن بالحق وتفعل الخير : « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » .

والصالحون من عباد الله الذين يؤدون الحق ويضطلعون بالواجب ويتحملون المسؤليات هم أحق وأولى بميراث الأرض والانتفاع بخيراتها . وتوزيعها على مستحقيها .

« ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » .

والحياة الطيبة ، حياة القلب والعقل والضمير ، إنما هى ثمرة لإيمان صحيح وعمل صالح : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

وقد يخيل للمصلح أن جهده الاصلاحى يذهب سدى ويتبخر كما تتبخر ذرات الماء فى الهواء ! . فأخبر الله سبحانه وتعالى أن ذلك مذخور لا يضيع منه شىء : « والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين » .

وبإزاء هذه الدعوة إلى الصلاح والاصلاح الذى يرتب الحياة ويجعلها جديرة بأن يحياها الإنسان ويظهر فيها مواهبه وطاقاته ، ويفتح فيها آفاقا واسعة من الإنتاج والابتكار . نهى عن الفساد حتى لا يتوقف عمل المصلحين ولا يتباطأ سير العاملين ، فقال : « ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين » وقال : « ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها . وادعوه خوفا وطمعا . إن رحمة الله قريب من المحسنين » .

والفساد طبيعة النفاق ومرض القلب . ولهذا يقول القرآن الكريم : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون » .

والمفسدون لا يستحقون إلا أن يحجبوا عن الله ويحال بينهم وبين

وحانه : « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

وعلى محبي الاصلاح أن يرصدوا خطوات هؤلاء المفسدين ويجنبوا المجتمع شرورهم . بكل وسيلة ممكنة ولو كان ذلك ببترهم وقطع دابرهم : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله . ويسعون فى الأرض فسادا . أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

إن الفساد كان العمل الأول لفرعون . فحوسب عليه الحساب العسير: « إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين »

وطبيعة الاستبداد التى تتسلط على المستعمرين أنهم يستعبدون غيرهم وينكلون بالضعفاء ويفسدون بتمكين من لا كفاية له ، وإهدار كرامة الأحرار : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون » .

وثمة صنف من الناس . يحسنون القول . ويسيئون العمل . ولا تنطوى جوانحهم إلا على خبث الطوية وفساد الضمير ، وسوء القصد ، وهم مع ذلك أقوياء فى لبس الحق بالباطل وستر أعمالهم السيئة ، بما يظهرونه من لين القول وعذوبة الحديث :

« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك

الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ، ولقد حذر القرآن المسلمين من الفساد إن هم تولوا الحكم ، وأوعدهم إن هم فعلوا ذلك بشر مصير :

« فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله ، فأصمهم وأعمى أبصارهم » .

هذه دعوة الاسلام الى الاصلاح ونهيه عن الإفساد لينتظم أمر العيش وليطمئن كل على نفسه وماله وعرضه وكرامته .

أما شريعة الغاب التي يطبقها دعاة الحضارة في هذا العصر فهي بربرية لاتتمشى مع ما حصل عليه الانسان من رقى مادى وكشف علمى ، ونجاح فى ميادين الحياة المختلفة .

نحن معشر المسلمين مطالبون بنشر دعوة الاسلام لنقدم للناس هذا النور الذى لا غنى لهم عنه ، وهذا الروح الذى لاحياة لهم بدونه. وهذه القيم التى تجعل الانسانية تستمتع بسكينة النفس وطيب العيش وسلام الضمير . .

* * *

الطريق إلى النصر

«ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى
عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا
الصلاة وآتـوا الزكاة وأمروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور»

حسبك أن تنظر إلى الشعوب المغلوبة على أمرها نظرة عابرة لينكشف لك مدى ما تعانيه هذه الشعوب من متاعب وآلام ومبلغ ما تقاسيه من بؤس ويأس، ومقدار ما انتهى إليه أمرها من فقد عناصر الصلاحية وعوامل التقدم والنجاح .

لقد حاول أعداء هذه الشعوب أن ينالوا من عزتها وكرامتها وأن يسلبوها استقلالها وحريتها فلم يدعوا وسيلة إلا جربوها ولا خطة إلا سلكوها واستعانوا على الوصول إلى هدفهم بالخونة والحمق والطغاة المستبدين ممن ينسبون إلى هـذه الشعوب فبلغوا من ذلك حداً أصبحت معه حياة هذه الأمم قاتمة اللون حالكة السواد كأنما أغشيت قطعاً من الليل مظلماً .

ومن ثم تبدو مهمة دعاة الإصلاح عسيرة وشاقة وطريقهم وعرة مليئة بالأشواك وسيرهم بطيئاً يضعف معه الأمل فى النجاح ويبعث على اليأس من الإصلاح .

ولكن ذلك وإن بدا معقولا لدى بعض الناس فإنه يبدو عند أنصار دين الله كفراً تجب محاربته وضلالا يجب تخليص النفوس منه : « إنه

لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) .

إن كل ما شرطه الله لإنزال نصره وتحقيق وعده لحماة دينه أن ينصروا دين الله قولا وعملا وأن يستقيموا على أمره وينفذوا تعاليمه ويجاهدوا أنفسهم ويحملوها على التزام جادة الحق والعدل وتنكب سبيل الباطل والبغى وأن يحبوا الله حباً يتضاءل بجانبه كل ما فى الحياة من مباهج ومتع . (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين) .

ونصر الله ، إقامة الصلاة التى تربط بين العبد وربه وإيتاء الزكاة التى توثق صلات المجتمع بعضه ببعض والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهما سياج الدين وحفاظه وفى الحديث: (الدين النصيحة . الدين النصيحة قيل لمن يارسول الله؟ قال لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم)

إن طرق الاصلاح معبدة وسبله مذللة لمن ارتفع عن مستواه المادى ووضع يده فى يد الله « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم » .

« يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » .

* * *

فى ذكرى الهجرة

(يا أبا بكر : ما ظنك باثنين

الله ثالثهما ، لا تحزن إن الله معنا)

(حديث)

كلما أهل هلال المحرم ذكر المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى ذكرى حبيبة إلينا عزيزة علينا ، إذ أنها ذكرى الجهاد والصبر والاحتمال فى سبيل الحق ومن أجل المبادىء ، الكريمة والمثل العليا .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكنه أن يعيش هادئا ، وكان يستطيع أن يسعد بجاه عريض ، ومال وفير ، وملك كبير ، ولو أراد أن يحيا حياة رافهة يستمتع فيها بمتع الحياة ولذائذ العيش لكان له ما أراد .

ولكن كيف ينعم وهو يحمل الرسالة الاصلاحية الكبرى رسالة السماء إلى الأرض .

كيف ينعم وهو يحمل بين جنبيه قلبا كبيرا ونفسا زكية وضميرا حيا .
وكيف ينعم وهو يرى قومه ويرى الدنيا جميعا من حوله تهيم فى الضلال وتضرب فى الظلام وتخبط خبط عشواء ، وتركب متن عمياء ، وتسير على غير هدى

إنه يريد للانسانية أن تهتدى إلى ربها ، وأن تتعبد له ، وأن تخلص له الدين فلا تخضع لغيره ، ولا تذل لسواه وهو يريد لها أن تعلو عن النقائص والمحقرات ، وأن تتجه إلى فضائل الأعمال ومعالى الأمور لتسير فى الحياة على منهج راشد وأسلوب حكيم .

وهو يقصد أن يضع للناس شريعة عادلة وسياسة تنظم شئونهم وتصون مجتمعهم وتحفظ أعراضهم وأموالهم . وهو يحاول أن يفك العقل من أسر التقاليد ليعقل ويعى ، ويحرر النفس من ضلال الجاهلية لتنطلق إلى غايتها . إنه يضع القواعد ويؤصل الأصول ويرسم المنهج ليسمو بالانسانية ، ويضع الأساس لحضارة كبرى ومدنية فاضلة يسودها الحب والإخاء ويظللها الأمن والسلام .

هذه خلاصة التعاليم التى نادى بها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتى هتف بها من أعماق الصحراء ، وهذه هى رسالته التى عاش لها ووقف حياته عليها ، وتعرض من أجلها لأقصى ما يتعرض له داع إلى الله وهكذا مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر بدعوته كأقوى الدعاة وأهدى المرشدين .

ولكن القوم رأوا فى ذلك امتهانا لآلهتهم ، وتسفيها لأحلامهم وانتقاصا لما درجوا على احترامه من تقاليد وعادات .

ثم هم يريدون الحكم والتسلط والرئاسة والجاه والمال ، وليس فى الدعوة الجديدة شىء من هذا كله . اذن فلتكن الخصومة وليناصبوه العداء حيث لا تتوافر لهم شهوات الدنيا ولا حظوظ النفس : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجرَ لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » ؟ .

وهكذا يلجون فى العناد ، ويعنفون فى الخصام ، ويهزءون بالدعوة

والداعية (وإذا رأوك أن يتخذونك إلا هزؤا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) .

ولكن الرسول لا يبالى بعنف ولا يأبه بخصومة ولا يثنيه استهزاء ، ولكنه يألم لما ينزل به من سوء ويضيق لما يلاقيه من عنت ،ويضاعف من آلامه ويزيد من أحزانه مايراه من اضطهاد أتباعه ، وتعرضهم لما لاطاقة لهم به ولا قدرة لهم عليه .

وهنا يتجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السماء بعد أن ضاقت عليه الأرض وينادي الله بعد أن تنكر له الناس. فيرفع يديه فى ضراعة ويقول : (اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك)

وتمضى الأيام وتنقضى الأعوام والصراع بين الحق والباطل لا يفتر. ويبلغ أشده ويصل إلى الذروة بمحاولة فاشلة أرادها عبدة الأحجار وسدنة الشرك ، فأجمعوا أمرهم وأحكموا تدبيرهم وقرروا أن يضربوا الضربة القاضية ويسفكوا الدم الطاهر ويقضوا على الاسلام بالقضاء من على حامل رايته ورافع لوائه . وجهلوا أن الله من ورائهم محيط ، وأنه مامن يد إلا يد الله فوقها

« وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »

ويفوتهم الرسول صلى الله عليه وسلم ويخرج من بيته دون أن يشعر به

أحد منهم أو ينتبه إليه ، ويأبى القوم الا أن يسيروا فى الطريق إلى غايته ، فيتفرقوا فى طريق مكة وشعابها باحثين ومنقبين حتى ينتهوا إلى الغار الذى آوى إليه الرسول وصاحبه .

وما يكاد الصديق يشعر بهم حتى يأخذه الفزع ويملكه الروع فيقول : (يارسول الله لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا). ويهدىء الرسول من روعه ويناجيه بهذه الكلمات الخالدة : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا) ويلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثة أيام حتى يسكن الطلب ثم يخرج بعدها مهاجراً إلى المدينة .

وبهذه تنتهى مرحلة من مراحل الكفاح والصبر والتربية والإعداد للاضطلاع بالتبعات الجسام ، وتبدأ مرحلة جديدة هى ثمرة لكفاح دام ثلاث عشرة سنة . إنها مرحلة استقرار وتجمع وتنظيم ، وإيذان بميلاد دولة .

وفى هذه المرحلة ، وفى ظلال هذه الدولة الجديدة وضعت القواعد التى تتولى الفرد بالتربية والتهذيب ، والأسس التى يقوم عليها بناء الأسرة ، والمبادىء التى تنظم شئون المجتمع وتصونه من الجمود والانحراف ، والتشريع المنظم للعلاقة بين الحاكم والمحكوم ،والدستور الذى ترسمه الدولة فى سلمها وحربها ، وتتقيد به فى الداخل والخارج .

وفى مدى عشر سنوات ، استقرت هذه الأوضاع . ووجد التشريع العبادى والتشريع الأسرى والتشريع المدنى والتشريع الجهادى والتشريع الجنائى والتشريع القضائى والتشريع المالى .

وأثمرت هذه التشريعات ثمارها وآتت أكلها فوجد الفرد المهذب ،

والأسرة الصالحة ، والمجتمع الفاضل ، والدولة الرشيدة .

وبهذا استحق المسلمون أن يستخلفهم الله فى الأرض ، ويمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم . ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا .

وفى عام حجة الوداع وفى المؤتمر العام للحجيج نزل على الرسول قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

فهل كان يمكن أن يتم شىء من هذا كله لولا الهجرة ، ومن ثم اعتبرها السلف مبدأ للتاريخ الهجرى ليكون ذلك الأمر الخطير جاريا دائما على ألسنة المسلمين فى مكاتباتهم كلما مر عام أو دونوا تاريخا .

وإذا كان لنا فى الهجرة من عبرة ، فهى أن المبادىء مهما كانت كريمة فهى لا تنتصر وحدها ، بل لابد لها كى تنتصر من جهاد مرير ، وكفاح شاق ، وعمل منظم ، وتدبير محكم ، وعلى قدر ما تكون التضحيات يكون النصر ، وبقدر ما تبذل تأخذ .

وما أحوج الشعوب الاسلامية فى هذه الآونة الى مثل هذا الدرس لتسترد حريتها ، ولتستكمل عزتها وكرامتها .

إن بين أيدى المسلمين تراثا ضخما ، وعظات بالغة يمكنهم أن يستفيدوا منها ، وأن يسهموا فى بناء عالم أفضل وحياة أكرم ، لو كانت لهم إرادة قوية وعزيمة ماضية .

ألا فلنجعل حاضرنا امتدادا لماضينا المجيد ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » . . .

العبرة فى غزوة بدر

« قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ،
فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة
يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد
بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة
لأولى الأبصار »

« سورة آل عمران »

ما كاد الإسلام يأخذ طريقه الى الظهور ، وينساب نوره فى ربوع مكة حتى بدأ حماة الشرك وسدنة الوثنية يعترضون سبيله ويعملون جاهدين على إطفاء نوره .

كان طبيعيا أن تنهض الوثنية فى مناهضة الإسلام وأن تأتمر به وتحاول كتم أنفاسه وتبذل كل ما تستطيع للقضاء عليه .

فلم تكن العقلية العربية آنذاك بالعقلية النيرة التى تلمس العلم والمعرفة ، أو تحاول البحث والنظر ، أو تقيم للمنطق وزنا ، أو تعيره اهتماما . وإنما كانت مكتفية بتقاليدها ، شديدة الحرص عليها مهما خالفت العقل ، مقتنعة بما لديها وإن لم يكن له سند إلا أنه ميراث ، الأبناء عن الآباء .

كان طبيعيا إذاً أن تذود الوثنيه عن نفسها وأن تصمى عن صيحات الحق بل وتضرب فى وجهه ما دامت هـذه الصيحات تزلزل أركانها وتعصف بمقدساتها ... وتمت لها الجولة الأولى ، ونجحت فى مكة نجاحا اضطر أمامه الإسلام أن يلجأ إلى مأوى آخر يعتصم به ويقيم فيـه ، وكانت المدينة هى المأوى

بدأ الإسلام يحس بعض الاستقرار فى المدينة وبدأ يشعر بنوع من الحياة التى يستطيع أن يتنفس فيها . ويعمل على إيجاد نظام يتناسب مع وضعه الجديد . ولكن هل يرضى الوثنية هذا الوضع ؟ وهل يعجبها هذا الاستقرار ؟ إنها تعتقد أنها قوة باطشة ، وأنها تستطيع أن تطارد الإسلام فى موطنه الجديد كما طاردته من قبل . . . فلتعد إذاً جيوشها ولتزحف صوب المدينة علها تظفر به كما خيل إليها أنهـا ظفرت به من قبل .

ولأول مرة يقف فيها الإسلام أمام الوثنية الفاجرة وجها لوجه فى بدر وتتحول فيها المعركة إلى قتال مسلح دام .

وقف الاسلام فى هذا الصراع العنيف وليس عنده من قوة سوى أنه الحق وأن النصر بيد الله يؤتيه أنصار دينه ما ناصحوا عنه ، ويهبه جنود دعوته ما أيدوها وأخلصوا لها ، بينما وقفت الوثنية تفخر بكثرة عددها ووفرة عُددها . . وما هى إلا لحظات لم يتقرر خلالها مصير المعركة ، أو المعارك التى تليها فحسب بل مصير الانسانية جميعا .

«ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون .
إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . وما جعله الله إلا بشرى لكم ؛ ولتطمئن قلوبكم به ؛ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم» .

وكان ذلك آية . وكان فيه عبرة . . ولكن لأولى الأبصار .

* * *

سهيل الكمال

قال صلى الله عليه وسلم :

« من أكل طيبا وعمل فى سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة » .

إن الوصول إلى الله والقرب من رحمته لا يأتى عفوا ولا ينال بغير جهد .

بل لا بد لتحقيق ذلك من عمل صالح وجهد مبذول .

ولقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث إلى نواح ثلاث تعتبر القواعد الصالحة للسلوك الفاضل .

١ — الكسب الحلال، وهذا أمر يهتم به الإسلام أبلغ الاهتمام، ويحرص عليه أشد الحرص، فهو يذكرنا بأن ذلك شريعة الرسل جميعا، أمروا به وندبوا إليه .

ففى القرآن الكريم:

« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ـ واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم».

ويدعونا إلى أن نقتدى بهم ونسلك مسلكهم فيقول :

« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقنا كم »

ويقول : « يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا » .

وينهى عن كل ما يوصل إلى الكسب الحرام فيحظر الربا والسرقة والنصب، والغش، والخيانة، والخداع والرشوة، وكل ما أدى إلى أكل

أموال الناس بالباطل . ويضع هذه القاعدة العامه فيقول :

«ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون »

ثم هو يدعو إلى العمل والكفاح فى سبيل العيش الحلال ويجعل ذلك من الجهاد المبرور فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من أمسى كالاً على عياله أمسى مغفورا له »

ورأى جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شابا جلداً فقالوا:

« لو كان جلده هذا فى سبيل الله ، ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن كان خرج يسعى على أولاد له صغار فهو فى سبيل الله .

وإن كان خرج يسعى على أبويه فهو فى سبيل الله .

وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله .

وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان :

وليس أبلغ من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقير بأن يذهب إلى جبل فيحتطب فيبيع ما جمع من حزم الحطب ويذكر أن ذلك خير له من أن يعيش عائلا يتكفف الناس .

ولا أبلغ من قوله : « ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل عمل يده » .

٢ — العمل فى سنة :

فالعبرة ليست بكثرة العمل وإنما العبرة بحسن الاقتداء ومتابعة الهدى النبوى .

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا . »

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الأعمال ، وحد حدودها وفَصَّل معالمها .

ولم يترك شيئا يقربنا إلى الله إلا أمرنا به ولا شيئا يبعدنا عن الله إلا ونهانا عنه .

وجعل القاعدة فى العبادات الاتباع ، وفى المعاملات رعاية المصالح التى يراها أولو الحل والعقد ممن تثق بهم الأمة فى مصالحها .

وبذلك تم الدين ، وكمل ، ووضعت قواعد الاجتهاد مفصلة :

«اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا »

فمخالفته خروج عن المنهج النبوى ، وانحراف عن الصراط المستقيم .

ولهذا كثر فى القرآن الكريم التحذير من ترك هدى النبى .

«فَلْيَحْذَرِ الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم . » .

«فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

وإنما حذر القرآن الكريم هذا التحذير ليجمع الأمة ، وليوحد بينها

التوحيد الكامل على مبادىء وقواعد ، فلا تفرق أحزابا ولاتتوزع أشياعا .

وكثير ممن ينتسب إلى الإسلام لا يهتمون بمراعاة السنن ولا يحرصون، على التمسك بالنصوص متابعين فى ذلك آراءهم الخاصة مما كان له الأثر البعيد فى تفريق كلمة المسلمين وجعلهم فرقا متنازعة وشيعا متناحرة .

ولقد جاء الوقت الذى يجب أن تتلاقى فيه كلمة المسلمين ، وأن يتجمعوا على كتاب الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم .

« ولو أنهم فعلوا مايوعظون به لكان خيرا لهم وأشدّ تثبيتا » .

(٣) وإذا كان الكسب الحلال ومتابعة السنن الصحيحة ركنا من أركان السلوك المهذب

فإن ذلك لايتم إلا إذا كان الإنسان سَلماً للناس يسعى فى خيرهم ويمنع الشر عنهم والأذى بهم .

ولقد أقسم الرسول صلى الله عليه وسلم أن المرء لا يسلم إلا إذا أمن الناس شره وضره فيقول عليه السلام :

« والذى نفسى بيده لايسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن الناس بوائقه قالوا: وما بوائقه يارسول الله؟ قال غَشْمُه وظلمه »

فليحذر المستهترون الذين يتناولون الناس بغير حق، ويشيعون عنهم الأكاذيب ، وليتأدبوا بأدب الله الذى أدبهم به وليذكروا أن امرأة من

نساء النبي صلى الله عليه وسلم قالت ، يارسول الله مايعجبك من فلانة ؟ (إحدى زوجاته)ـ وأشارت بيدها تعنى أنها قصيرة ـ فقال لها :« لقد قلت كلمة لو مزجت ببحر لأفسدته »

هذا هو السبيل المرسوم لجنة الله فى الآخرة ، وطريق واضح المعالم للكمال الإنسانى فى الدنيا . فلنرع هذا الأمر حق رعايته والله الموفق .

الايمان والعمل

استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا »

وفى الآخرة الحصول على السعادة فى جوار الصالحين .

« يا أيتها النفس المطمئنة ، إرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

* * *

الإسلام والإنسان

« ومن يسلم وجهَهُ إلى الله وهو محسن،
فقد استمسكَ بالعروة الوُثقى وإلى الله
عاقبة الأمور »

إسلام الوجه إلى الله وإحسان العمل هما حقيقة الإسلام ولبه وهما الهدى ودين الحق كما أنهما هما الإيمان والعمل الصالح، ولا يسلم للمرء دينه إلا بهما ولا يقوم إلا عليهما .

وإسلام الوجه إلى الله يوجب مراقبته والتوكل عليه وتفويض الأمر كله إليه وحبه والاخلاص له وإيثار طاعته ومرضاته على هوى النفس : «قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين»

كما أنه يستلزم الخضوع لشرعه والنزول على حكمه وهجر كل مايعارضه: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »

ويقتضى مواجهة شدائد الحياة بالصبر ومكارهها بالثبات وتحمل أعبائها وتبعاتها بشجاعة ورحابة صدر : « والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون . »

وإحسان العمل صقل النفس وتوجيه لخيرها وخير الإنسانية واستخراج أسمى ما فيها من مواهب وقوى: « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » « إن رحمة الله قريب من المحسنين »

والإحسان يكون بين العبد وربه . وهو كما جاء فى الحديث « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . »

كما أنه يتناول شئون الحياة جميعا قال رسول الله : إن الله كتب الإحسان على كل شىء . »

على هذين الأساسين درج سلفنا الصالح فلم يغفلوا عن الله ولم يعرضوا عن حكمه ولم يهنوا فى شدة ولم يقصروا عن غاية فساد مجتمعهم الأمن والسلام والمحبة والوئام واتجهوا بالحياة وجهتها الصحيحة فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين »

* * *

المجتمع المثالى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله عليكم ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال »

حياة المجتمع فى الإسلام تقوم على أسس سليمة ودعائم راسخة من شأنها أن تشد أركانه وتقوى بنيانه .

١ ـ والأساس الأول من هذه الأسس عبادة الله الواحد التى تنتظم أفراده بالحب والتوقير وإخلاص العمل له دون التفات إلى غيره ، والتوكل عليه فيما دق وجلّ من الأمور ، وإسلام الوجه إليه والرضا بقضائه وقدره وتعظيم أمره ونهيه والجهاد فى سبيل إعلاء كلمته ، وبذل النفس والمال ابتغاء وجهه الأعلى .

والعبادة على هذا النحو لا تتم إلا بفقه فى دين الله وتأس لرسوله صلوات الله وسلامه عليه ، ومجاهدة النفس وحملها على الفضائل حتى تزكو وتسمو وترتفع عن سفاسف الأمور ومحقرات الأعمال .

وهذا الضرب من الرياضة الروحية يضفى على الحياة ثوب الجمال والجلال ، ويظلها بظلال المحبة والسلام فتنقطع الخصومة ويرتفع النزاع ويحل الوفاق محل الشقاق ، ويتقارب الناس ويتآلفون ، ويسمى الفرد

لخير الجماعة ، وتحرص الجماعة على إصلاح الفرد وإسعاده ، ويسير الكل إلى الغاية الكبرى دون تعثر أو استرخاء .

ومن ثم تبدو لنا الحكمة واضحة فى جعل العبادة غاية الحياة ، وأن الله لم يخل جيلا من الأجيال ولا أمة من الأمم من نذير يجهر فيهم باسم الله : « لا إله إلا أنا فاعبدون » .

وأن هذه الدعوة إنما كانت تأتى بعد فساد الضمير الإنسانى ، وبعد أن تتحطم كل القيم العليا فى نفس الإنسان ، وأنه فى حاجة إلى معجزة تعيده إلى فطرته السليمة ليصلح لعمارة الأرض وخلافة الله فيها .

وإذا كانت الحضارة المادية الغربية قد لفتت أنظار كثير من الناس عن عبادة الله وخلبت أبصارهم ، واستهوت أفئدتهم واستعبدتها حتى أصبحوا لا يؤمنون إلا بما تمليه عليهم غرائزهم وتوحى به شهواتهم ، فإنهم الآن فى أشد الحاجة إلى دعوتهم إلى عبادة الله قبل أن تنقلب هذه الحضارة إلى جحيم تلتهمهم ثم لا يكون لهم عاصم ولا نصير .

وتبليغ هذا واجب على جماعة المسلمين الذين ائتمنهم الله على رسالته، وأورثهم الكتاب ليكونوا ورثة النبى فى هداية الناس إلى الله

٢ — ولن يتم ذلك إلا إذا كانوا هم هداة مهديين يستمسكون بحبل الله ويتجمعون على كتابه ، ويتدارسونه دراسة تؤهلهم لحمل هذه الأمانة وتربية الأمم ودعوتهم بعملهم وعلمهم إلى الصلاح والإصلاح

يضاف إلى ذلك توحيد الكلمة واجتماع الشمل والتفاهم جميعاً تحت راية الكتاب والسنة . ونبذ ما عداهما مما يثير الخلاف ويفرق الجماعة.

٣ — وإن كل الظروف والاعتبارات تدعوهم الآن لأن يتقدموا ويسارعوا إلى تحقيق المعانى الكريمة .

وهذا يستدعى تعاون جميع الجبهات وتلاقى وجهات النظر وإخلاص كل من الحاكم والمحكوم إخلاصاً يتطلب المشورة من الحاكم والنصيحة من المحكوم ، ليسيروا معاً إلى هدفهم فى خطوط متوازية توصل إلى الأمل المرجى والغرض المنشود .

وليحذر المسلمون الانحراف عن تعاليم الله وتفريق الكلمة .

فإنهم لم يؤتوا من جهة كما أوتوا من هذين البابين مما تسبب عنه سقوطهم من رعاية الله ، وتفرق كلمتهم ، وطمع من لم يكن يدفع عن نفسه فيهم .

ويكفيهم ما رأوا من عظات وما لقنوا من دروس .

٤ — وإذا كانت هذه الدعائم الثلاث التى لا بد منها فى إقامة مجتمع فاضل ، فإنه لا بد من ترك أمور أخرى يكرهها الله .

من شأنها أن تموت عليهم مصالحهم وتحول بينهم وبين الرقى والتقدم .

ومن هذه الأشياء فقد الثقة بين الأفراد بعضهم ببعض .

ومن مظاهر ذلك ، التجسس وسوء الظن ونقل الحديث واختلاق الإشاعات وقذف الأبرياء بالتهم وغير ذلك من التفاهات التى تصرف الناس عن الجد إلى الهزل وتقطع أوقاتهم فيما لا طائل تحته ولا فائدة فيه .

٥ — ولا يقل خطر كثرة السؤال عما لا يعنى ، عن هذه المساوىء

الخلقية فى الانحراف بالمجتمع عن غايته .

إذ أنها تصرف العقل والفكر عن النظر الصحيح ، وتضيع العمر فيما لا يجدى ، ولا سيما كثرة الأسئلة عما لا يقع والتى سكت الشارع عنها غير نسيان منه رحمة بهذه الأمة .

وفى الحديث : « أعظم الناس جرماً من سأل عن شىء فحرم من أجل مسألته » .

وكثير من الناس يقع فى أمثال هذه الأمور ويظنون أنها مما تزيد الإنسان ديناً وبصراً بالأمور .

وهى فى واقعها مما يفسد الدين والعقل معاً ويذهب بالوقت سدى .

والوقت هو الحياة ، فإذا ضيع فى مثل هذه الصغائر فمتى يفرغ الإنسان لكبريات الأعمال ؟

٦ — ومن أكبر الضرر للأفراد والجماعات ، إضاعة المال .

ويحقق ذلك بالإسراف والتبذير والقمار ، والمغامرات الطائشة كما يتحقق بترك استغلاله أو عدم استثماره .

ومن العجيب أن الأمم الإسلامية قد وهب الله لها أموالا طائلة وثروات ضخمة .

ومع ذلك فهم بين مضيع لها أو جاهل بطرق الإفادة منها .

والمال قوام الحياة لا يستغنى عنه فرد ، ولا تنهض بدونه أمة .

فإذا كنا نريد أن ننهض ونسود ، فلنحتفظ بثروانتا من الضياع باستغلالها وتنميتها وحمايتها من أن تتبدد هنا وهناك

هذه هي القواعد الثابتة التي ينبغي أن نقيم عليها حياتنا ونأخذ بها أنفسنا ، لنرشد ونسعد ، ونأخذ مكانتنا الذي أعده الله لنا على هذه الأرض ..

سلامة القلب

عن ضمرة بن ثعلبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لايزال الناس بخير ، مالم يتحاسدوا »

رواه الطبرانى بسند رواه ثقاة ..

إن خير الناس منوط بسيادة روح المحبة ، وتوفيق عرا المودة بينهم، فإذا فقدوا هذه الروح ، أو وهنت هذه العرى ،تعرضوا للبأساء والضراء ، وزلزلوا زلزالا. لا يثبت معه قوم ، ولا يستقر عليه بناء . .

ومن ثم عمل الاسلام على حياطتهم بالسياج الذى يقيهم العوادى ، والدروع التى تصونهم من التصدع والانقسام ، فعمل على صياغتهم صياغة خاصة ، وتربيتهم تربية من شأنها أن تبقى فضائل الإنسان ، وتنفى عنهم رذائل الصفات ، ومذام الخلال .

فالرجل المثالى فى نظره هو الرجل الذى يصدق فى الحديث ، ويتحرى الحق ، وينزه قلبه عن أن يخطر به السوء . .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الناس أفضل ؟ قال :

« كل مخموم القلب ، صدوق اللسان » قالوا : صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب ؟ قال : « هو التقى النقى ، لاإثم فيه ولا بغى ، ولا غل ولا حسد » . .

وليست العبادات الكثيرة من الصلاة والصوم والصدقة هى المظاهر الوحيدة لرضوان الله ، فثمة سلامة القلب ، وطهارة النفس ، هى خير عند ربك ثوابا . وخير أملا . .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكن دخلوها برحمة الله وسخاوة الأنفس وسلامة الصدور » . .

ونجاح المرء ، وظفره بمحبة الله ومودة الناس ، مرهونان باتزانه الخلقى وضبطه لسلوكه ضبطا بحيث تصدر كل حركة عن وعى ، وتستهدف غاية كريمة . .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أفلح من أخلص قلبه للايمان ، وجعل قلبه سليما ، ولسانه صادقا ، ونفسه مطمئنة ، وخليقته مستقيمة » . .

وحين يرتفع الإنسان إلى المستوى الأعلى ، ويرتقى فى مدارج الكمال ينظر إلى من دونه نظرة عطف وحنان . ويمد يده إليه محاولا أن ينهض به . فان أعياه ذلك لم ينطو قلبه على الغش له ، ولا الحقد عليه ، وهذه هى سنة الاسلام التى رسمها فى هذه الكلمات :

« يا بنى . إذا قدرت على أن تصبح وتمسى ، وليس فى قلبك غش لأحد ، فافعل ، فإن ذلك من سنتى ، ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » . ومن الدعاء الذى علمه الله لنا ·

« والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين

سبقونا بالايمان . ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رءوف رحيم ».

هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، يشن الإسلام على الحسد، الحقد والغل ، حربا لاهوادة فيها . .

فهذه الصفات فى نظره ، رذائل تمحق الدين . وتجعل من المتصف بها انسانا حقيرا . جديرا بمقت الله له ، وسخط الناس عليه . .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « دب اليكم داء الأمم قبلكم : الحسد ، والبغضاء ، والبغضاء هى الحالقة ، أما أنى لا أقول : تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » . .

والحسد والإيمان ضدان لا يجتمعان فى قلب كما لا يجتمع الماء والنار فى موضع . فوجود أحدهما ينفى وجود الآخر . .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمع فى جوف عبد غبار فى سبيل الله وفيح جهنم . ولا يجتمع فى جوف عبد الإيمان والحسد » .

ومع الحسد لا يزكو عمل ، ولا تبقى صالحة ، ولا ترتفع إلى الله حسنة فإن هذه الرذيلة تلتهم ذلك كله . .

يقول الرسول : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

وطبيعة الحسد طبيعة لئيمة ، فهى تأبى إلا أن تجهر بالسوء ، وتأمر بالفحشاء . وتنكر المعروف ، وتقبح الحسن ، وتذم ما هو جدير بالمدح والثناء . وتقطع ما أمر الله به أن يوصل .

فكم من صلة قطعتها ، وكم من رابطة مزقتها . وكم من دم سفكته

وإن أول جريمة قتل وقعت على الأرض كان سببها الحسد حيث حسد ابن آدم أخاه . وإن إخوة يوسف ، وهم الذين تربوا فى الحجر الصالح ، دفعتهم هذه الرذيلة إلى عقوق أبيهم ، والمكر بأخيهم : «إذقالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة . إن أبانا لفى ضلال مبين . اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ، وتكونوا من بعده قوما صالحين » . .

والحسد صفة أهل الكفر والجحود . وهم لا يودون أن ينزل على الناس خير من ربهم . ويحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ويحبون أن يعود أهل الايمان والإصلاح إلى الكفر والإفساد : «ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا ، حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق . فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره » . .

ولهذه الآثار التى تتولد من هذه الصفة أمرنا الله أن نستعيذ من الحاسدين ، كما نستعيذ من الشياطين الذين يفسدون فى الأرض ، ولا يصلحون . .

« ومن شر حاسد إذا حسد » . .

ولم يكتف الاسلام بذم هذه الرذيلة ، ويقف عند تعداد ثمارها المرة ، وآثارها السيئة فى النفس والمجتمع ، بل تجاوز ذلك إلى اتخاذ الوسيلة المثلى ، والخطة الحكيمة ليقضى عليها . ويجتثها من أصولها . .

فنظر إلى الأسباب التى تبعث نار التحاسد وتوقد لهيب التحاقد . وعمل على إطفائها من أول الأمر . .

فالمجتمع الإسلامى لا تشيع فيه العداوة والبغضاء . لأن المحبة جزء من الإيمان . .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «والذى نفسى بيده . لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا . ولا تؤمنون حتى تحابوا» . ويقول : «تهادوا . تحابوا» . ويقول : «الهدية تذهب وحر الصدر» (وحَرَ = حقد)

والاسلام يمنع الكبر والعجب والخيلاء . والتطاول على الناس . منعا حاسما . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر» . ويقول : «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد . ولا يبغى أحد على أحد» . . .

وطلب الرياسة والجاه : والعلو فى الأرض . مما يفوت على المرء جوار ذى الجلال . والجزاء الحسن فى الآخرة : «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا . والعاقبة للمتقين» . .

وشهوات الدنيا ولذائذها ليست ميدانا للتنافس . ولا هى جديرة بالحرص عليها . والسعى إليها . .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم . فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم» . «ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض . للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن . واسألوا الله من فضله» . .

وميادين الخير مفتحة للجميع ، وأبواب الترقى الأدبى . والسمو الروحى . ليس دونها حجاب ، «والله يعطى العبد على قدر همته ونهمته» .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا فى اثنتين :
رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق . ورجل آتاه الله الحكمة
فهو يقضى بها . ويعلمها الناس » وفى ذلك فليتنافس المتنافسون . .

ولقد أنارت هذه التعاليم جوانب الحياة فى العهد الأول . فأثمرت
ثمارها . وآتت أكلها ، وطاردت ظلام النفوس . .

شتم رجل ابن عباس . فأجابه : أتشتمنى وفىّ ثلاث خصال :

إنى لأسمع بالحاكم يعدل فى حكمه فأحبه . ولعلى لا أقاضى إليه
أبدا .

وإنى لأسمع بالغيث يصيب البلد فأفرح به ، وما لى به سائمة
ولا راعية .

وإنى لآتى على آية من كتاب الله فأود أن المسلمين كلهم يعلمون منها
مثل ما أعلم » . .

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء». رواه أبوداود والترمذى

الرحمة صفة كريمة، وعاطفة إنسانية نبيلة، تبعث على بذل المعروف، وإغاثة الملهوف، وإعانة المحروم. وكف التعسف والظلم، ومنع التعدى والبغى...

وقد أراد الإسلام أن يطبع الناس بها حتى تمتلىء قلوبهم خيرا وبرا. وتفيض على الدنيا رجاء وأملا...

فالله رب هذا الدين، هو الرحمن الرحيم، وهو الذى وسع كل شىء رحمة وعلما، وسبقت رحمته غضبه، وجعل الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا، وأنزل فى الأرض جزءا واحدا...

فمن ذلك الجزء: يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه...

وكتاب الله رحمة، «وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين». وجنته رحمة، «وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون»...

ورسوله رحمة، وأصحابه رحماء «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»...

« ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن، قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين، ورحمة للذين آمنوا منكم » . .

محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

والراحمون هم الذين يرحمهم الله . . . والذى يتجرد عن هذه الصفة، فهو الشقى : « من لا يرحم لا يرحم . « لا تنزع الرحمة إلا من شقى » . .

وأولى الناس بالرحمة . . هم النساء والضعفاء والمساكين . .

فهم فى حاجة إلى يد رحيمة تمسح آلامهم، وتواسى جراحهم . .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله، أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل » . . . رواه البخارى . .

ويقول : « استوصوا بالنساء خيرا » . .

كان أنجشة فى سفر يحدو للابل ويغنيها بصوته الحسن فأسرعت وعليها بعض النسوة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا أنجشة رويدك بالقوارير » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم .

« طوبى لمن تواضع فى غير منقصة، وذل فى نفسه من غير مسألة وأنفق مالا جمعه فى غير معصية، ورحم أهل الذلة والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة » . .

والعمال والخدم ممن اهتم بهم الإسلام، وأمر بالرفق بهم، والشفقة عليهم، ورعاية حقوقهم من التخفيف عنهم وإعطائهم أجورهم . . وترك الإساءة إليهم . .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما خففت عن خادمك من عمله كان لك أجراً فى موازينك » . . . رواه أبو يعلى وابن حبان . . .

ويقول : « أعطوا الأجير أجره ، قبل أن يجف عرقه » . . .

وعن المعرور بن سويد رضى الله عنه قال :

دخلنا على أبى ذر بالربذة فإذا عليه برد ، وعلى غلامه مثله .

فقلنا : يا أبا ذر لو أخذت برد غلامك إلى بردك فكانت حلة ، وكسوته ثوباً غيره .

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليكسه مما يكتسى ، ولا يكلفه ما يغلبه ، فإن كلفه ما يغلبه . فليعنه » .

وجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال . « إن خادمى يسىء ويظلم ، أفأضربه ؟ . . قال : « تعفو عنه كل يوم سبعين مرة » . . .

وعن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه قال :

كنت أضرب غلاما لى ، فسمعت صوتاً من خلفى ، اعلم أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه ، فالتفت ، فإذا هو النبى صلى الله عليه وسلم

فقلت : يارسول الله هو حر لوجه الله .

قال . أما لو لم تفعل . للفحتك النار أو لمستك النار » .

والصغار الذين هم فى حاجة إلى الرعاية والعناية ، لم ينسهم الإسلام

من رحمته . فسلب من القاسي عليهم ، شرف الانتساب إليه . .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » . .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتقبلون الصبيان وما نقبلهم ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك » رواه البخاري ومسلم.

وعن عمر بن عبد العزيز قال : « زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم أن النبي صلى الله عليه وسلم ، خرج ذات يوم وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول : إنكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله » .

وأطال رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود يوما زيادة على المعهود فسأله أصحابه ، فقال : إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله . .

وكان يسمع بكاء الصبي وهو يصلي فيخفف الصلاة . .

والإسلام أول من نادى بالرفق بالحيوان ، ورحمه الله فيه . .

فنهى عن التحريش بين البهائم ، ونهى من تخذ شيئا فيه الروح غرضا . . .

وقال : من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة يقول : يارب إن فلانا قتلني عبثا ، ولم يقتلني منفعة . .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعير ، قد لصق ظهره ببطنه من الجوع فقال : اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة ، وكلوها صالحة » . . .

ومر على حمار قد وسم في وجهه ، فقال : « لعن الله الذي وسمه » .

وعن جنادة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بإبل قد وسمتها في أنفها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ياجنادة : فما وجدت عضوا تسمه إلا في الوجه ؟ أما إن أمامك القصاص . .

فقال « أمرها إليك يارسول الله » . .

وجاء مرة رجل وعليه كساء وفي يده شيء قد التف عليه ، فقال : يارسول الله إنني لما رأيتك أقبلت فمررت بغيضة شجر ، فسمعت فيها أصوات فراخ طائر ، فأخذتهن ، فوضعتهن في كسائي .

فجاءت أمهن ، فاستدارت على رأسي ، وكشفت لها عنهن ، فوقعت عليهن ، فلففتها معهن بكسائي ، فهن أولاء معي .

« فقال . ضعهن ففعلت .

قال : ففعلت فأبت أمهن إلا لزومهن .

« فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون لرحمة أم الفراخ بفراخها ؟ .

« قالوا : نعم .

قال : والذي بعثني بالحق لله أرحم بعباده من أم الفراخ بفراخها .

ارجع بهن حتى تضعهن ، حيث أخذتهن ، وأمهن معهن ، فرجع بهن » . . . .

وأوصى الجزار أن يسوق ذبيحته ، سوقا رفيقا ، وسأله رجل فقال يا رسول الله ؟ إنى آخذ شاة وأريد أن أذبحها فأرحمها ، قال : « والشاة إن رحمتها رحمك الله » .

وقال : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » .

والرحمة من الصفات التى تجب مراعاتها حتى مع الأعداء أثناء الحرب .

فلا تقتل الصبيان ، ولا النساء ، ولا العباد ، ولا من تجنب الحرب ، ولا المرضى .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإحراق بالنار لحى أو ميت ، وعن إفساد الثمار والزروع ، وإحراق الدور ، والأمتعة وعن كل إتلاف ، أو إفساد تكون منه مندوحة .. ونهى عن المثلة والإجهاز على الجريح .

قال عمران بن حصين . ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أمرنا بالصدقة ونهانا عن المثلة :

كما نهى عن قتل الممرضين والنقالة ، وكل من يستخدمون لإسعاف الجرحى والمرضى ، والقيام بحاجاتهم وتخفيف آلامهم .

وعن هشام بن حكيم بن حزام رضى الله عنه أنه مر بالشام على أناس

من الأنباط ، وقد أقيموا فى الشمس وصب على رءوسهم الزيت .

فقال ؟ ما هذا : قيل حبسوا فى الجزية .

فقال هشام : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا . فدخل على الأمير فحدثه . فأمر بهم ، فخلوا » . .

ومر الشعبي على جماعة من الذميين فسلم عليهم . فسئل فى ذلك .

فقال . « أليسوا فى رحمة الله يعيشون » . . .

وهكذا تبدو لنا طبيعة الإسلام ، سهلة سمحة ، رخيمة . .

وأنه يريد أن يطبع النفوس بطابع الرحمة ، وأن يشملهم على هذه العضباة حتى ينعم الناس فى ظلها الوارف ، ويعيشوا فى كنفها آمنين وحتى تباركهم السماء ، وينزل عليهم سلام الله ورحمته وبركاته . . .


الصبر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
مايكن من خير فلن أدخره عنكم ومن يتعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر » .

فضائل الصبر :

إذا أحصينا فضائل النفس الإنسانية برز لنا فى طليعتها فضيلة الصبر والمصابرة والثبات والمثابرة .

إذ أن هذه هى الفضائل التى تصنع الرجال وتنهض بالأمم ، وتصل بها إلى أبعد الغايات من العلم والعمل ، وترقى بها إلى الذروة فى الصناعة والزراعة والتجارة وسائر شئون العمران .

وإذا لفتنا النظر إلى ما ينعم به البشر من النعم المادية والروحية ظهر لنا أنه ثمرة الصبر والكفاح ونتيجة الدأب والمثابرة .

ومن ثم جاء الإسلام يوصى بالصبر ويذكره فى أكثر من سبعين موضعاً فى القرآن الكريم .

فى بعض الآيات يأمر به فيقول : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

وفى بعضها يضيفه إلى الله تنويهاً به ويخبر بأنه مع الصابرين بتأييده وتوفيقه :

« يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين »

وهو السبيل إلى الرئاسة فى الدنيا والإمامة فى الدين :

« وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » .

ولن يفوز أحد بدرجات القرب عند الله إلا عن طريق الصبر :

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » .

وقد جعل الله لكل عمل صالح جزاء مقدراً إلا الصبر ، فإن الأجر فيه فوق التقدير والحسبان :

« إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

والصبر هو الفضيلة التى كلف الله بها أولى العزم من الرسل .

فعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

إن الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل إلا بالصبر . ولم يرض إلا أن كلفنى ما كلفهم فقال : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، والله لأصبرن كما صبروا .

وهو إحدى علامات الإيمان .

سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة : (أمؤمنون أنتم ؟

فقال عمر نعم يارسول الله .

قال : فما علامة إيمانكم ؟

فقال : نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ، ونرضى بالقضاء .

فقال : مؤمنون ورب الكعبة) .

وبهذه الصفة استحقت هذه الأمة التنويه بشأنها فى الأولين .

قال أبو الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(إن الله عز وجل قال لعيسى بن مريم ياعيسى : إنى باعث بعدك أمة إن أتاهم ما يحبون حمدوا وشكروا . وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا . أعطيهم من حلمى وعلمى) .

مجالات الصبر

وللصبر صور شتى وشعب متعددة :

منها : الصبر فى مواطن الحق ، والثبات فى وجوه خصومه حتى ينتصر ، والجهاد من أجل استقرار المبادىء الكريمة وتمتع العقائد الصحيحة ، واحتمال الصعاب من أجل مطاردة الرذائل ومحاربة البدع والمنكرات حتى تختفى وتزول :

(يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) .

روى البخارى عن خباب بن الأرت أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون».

وفى هذا المعنى يقول قطرى بن الفجاءة:

أقول لها وقد طارت شعاعا	من الأبطال ويحك لن تراعى
فإنك لو سألت بقاء يوم	على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبراً فى مجال الموت صبرا	فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حى	فداعيه لأهل الأرض داع
ومن لم يعتبط يسأم ويهرم	وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير فى حياة	إذا ما عُدَّ من سقط المتاع

• • •

ومنها: احتمال أذى الغير ومقابلته بالعفو والمسامحة:

«وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين...»

«لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب

من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » :

ولقد وقف رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم الغنائم فقال :

إن هذه قسمة ماعدل فيها وما أريد فيها وجه الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ـ يرحم الله موسى، لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر .

ومن شعبه الصبر عما يفوت من الحظوظ الدنيا وعدم منازعة أهلها منازعة تفضى إلى الشقاق وحزازات الصدور .

فعن ابن مسعود ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

ستكون بعدى أثرة وأمور تنكرونها .

قالوا يارسول الله ، فما تأمرنا ؟

قال : تؤدون الحق الذى عليكم ، وتسألون الله الذى لكم :

وجاء رجل من الأنصار فقال له : يارسول الله . ألا تستعملنى كما استعملت فلاناً ؟

فقال: إنكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض .

والصبر عن معاصى الله بهجرها ومجاهدة النفس فى تركها ، عما يسمو بها ويقربها إلى خالقها :

ولهذا جاء الإسلام يمنعها من الاسترسال فى الهوى والشهوة فيضع لكل حاسة أدباً ، ويجعل الإنسان مسئولا عن كل تصرف يصدر عنه :

« ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

وقد يستهين الإنسان بارتكاب بعض الذنوب ظناً منه أنها من اللمم الذى تسعه مغفرة الله مثل النظر إلى النساء الأجنبيات ، أو التحدث بالنكات الكاذبة فيقع فيما يسخط الله عليه ويبعده عنه .

فليس الشأن فى المعاصى أن ينظر إلى كبيرها أو صغيرها وإنما الشأن فيها أن ينظر إلى الله والأدب معه .

يقول الرسول عليه السلام : (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله من تركها خوف من الله آتاه الله إيماناً يجد حلاوته فى قلبه .

ويقول : ويل للرجل يحدث بالحديث يضحك منه القوم فيكذب ، ويل له ، ويل له)

والإنسان لا يستغنى عن الصبر فى أداء العبادة والمراظبة على طاعته فقد يتنابه الفتور فى العبادات البدنية والبخل فى العبادات المالية .

فهو فى حاجة إلى الصبر لينشط فى الصلاة والحج والجهاد والسخاء بالانفاق على المعوزين ومواساة المحتاجين

ومن أعلى مقامات الصبر ، الصبر عند نزول النوائب ، كموت أو ضياع مال وضعف صحة وفساد عضو من أعضاء البدن .

وهـذا يقتضى حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكى ، والجوارح عن فعل مايذم ويقبح

عادة من عاداته فى هيئته ولا فى أكله ولا فى ملبسه ولا فى مظهر بيته بل يبقى على عاداته إظهاراً لرضاه بقضاء الله

وفى الحدات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(مايزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى ولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة)

ويقول : (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه)

ولا يتنافى مع الصبر حزن القلب ودمع العين

ففى الحديث (إن الله لا يعذب بحزن القلب ولا بدمع العين ، وإنما يعذب بهذا وأشار إلى اللسان) . ولما قبض إبراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع ولا نقول ما يغضب الرب وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون)

وكذا لو دققنا النظر لمجالات الصبر لا يستغنى عنه عالم يطلب الإقامة فى العلم ولا عامل يبتغى المهارة فى العمل ولا إنسان يريد أسمى الغايات ويصل إلى ذروة النجاح .

الدين النصيحة

روى الترمذى والطبرانى عن جرير أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذى
نفسى بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن
المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم
عقابا ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»

(١) إن الله فرض على المسلمين أن يحملوا مواريث النبوة ، وأن يضطلعوا بأعباء الرسالة ، ويقودوا الناس إلى الله ، ويوجهوهم وجهة الحق والخير.

فتعلو بذلك إنسانيتهم وتسمو مواهبهم ويحققوا معانى الهدى والرشاد

وبهذا وحده كانت هذه الأمة خير الأمم: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .

وأمة هذا شأنها . تنال من رحمة الله . ما يجمع شملها ، ويصلح ذات بينها ويقيها السوء ويدفع عنها المفاسد والشرور ، ويظللها فى ظله الذى لا يشقى من استظل به :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله . أولئك سيرحمهم الله . . »

فتسلم من النقص والخسران ، وتسير إلى غاياتها الكبرى من العلم النافع . والعمل الصالح والتوجيه الحق .

« والعصر إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » . .

ومن ثم يمكن لها في الأرض، وتقوم بخلافة الله في تنفيذ أمره ونهيه:

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » . .

٣) وإذا كان لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذه الآثار البعيدة المدى في حياة الأمة . فإن لإهمالها والاستهانة بها ، آثار عكسية في حياة الأمة من الاستخفاف بالدين ، والتنكر للعقائد ، والاستهتار بالأخلاق ، والتهوين من شأن الفضائل ؛ والخروج على العرف الصالح ؛ والإقلال من العادات الحسنة .

ثم التخلص من كل القيود الأدبية التي ترقى الفرد . وتنهض بالمجتمع معا بعرض الأمة للعقاب الصارم كنتيجة حتمية للاختلال بالقيم العليا التي هي قوام الفرد والجماعة . .

ولقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن تتعرض لما تعرض له غيرنا من الأمم السابقة ؛ من اللعن ؛ وضرب القلوب بعضها ببعض . بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

روى أبو داود والترمذى عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل، كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك . »

ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده .

فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض » . ثم قال :

« لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

ثم قال : كلا : والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يدى الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا ؛ أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم » . .

وخطب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الناس يوما فقال :

« أيها الناس : إنكم تقرأون هذه الآية . وتضعونها فى غير مواضعها :

« يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » .

وإنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن الناس إذا رأوا الظالم ، فلم يأخذوا على يديه . أوشك أن يعمهم الله بعقاب » . .

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للامة التى تقوم بهذه الفريضة فتنجو . والأمة التى تهملها فتهلك ، فقال :

« مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة . فصار بعضهم أعلاها . وبعضهم أسفلها . فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم . فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا .؟ فإن تركوهم وما أرادوا . هلكوا جميعا . وإن أخذوا على أيديهم نجوا . ونجوا جميعا » . .

ومن سنن الله فى الاجتماع البشرى . أنه لا يمد يده للخارجين عن دينه . ولا يحوطهم بشىء من عنايته . مهما تجمعوا على الهوى . واستعبدتهم الشهوة .

ومتى فقدوا الوازع الدينى فحينئذ لا ينفع أنصاح صلاحه . ولا يدفع عن الشرير ذكاؤه وعلمه .

فإن الصالح يعتبر شريكا بسكوته . والساكت عن الحق شيطان أخرس .

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة . واعلموا أن الله شديد العقاب » .

وفى الحديث : « إذا أخفيت الخطيئة لا تضر إلا صاحبها . وإذا ظهرت فلم تغير . ضرت العامة » . .

(٣) ونحن المسلمين نستطيع أن نخفف من كثير من الشرور والمفاسد إذا أحسنا عرض الإسلام . وأخلصنا لله . وتجردنا من كل ما يعوقنا عن السير فى هذه السبيل من التماس الدنيا بعمل الآخرة .

فإن الإسلام ذاته قوى . وليس فيه ما يشق على الناس فهمه . أو يصعب عليهم العمل به

وروحانيته روحانية مهذبة لا تغمط الفطرة حقها . ولا تميل بالإنسان ذات اليمين أو ذات الشمال .

وليس فيه مادية بعض الأديان . ولا رهبانية بعضها الآخر :

« فأقم وجهك للدين حنيفاً . فطرة الله التى فطر الناس عليها » .

« إنما بعثت بالحنيفية السمحة » . .

وعندنا من وسائل الدعاية ما نستطيع به أن نكون جيلا كريما يستطيع أن يضرب بسهم وافر . وأن يسهم بنصيب كبير فى بناء الأدب العالى . والخلق المتين .

فعندنا المساجد والمعاهد . والمدارس . والصحف . والإذاعة .

فهذه كلها لو وضعت لها سياسة مرسومة . وخطة حكيمة . يمكن أن تأتى بأعظم النتائج . وأبرك الثمرات .

والله سبحانه حين أوجب الأمر بالمعروف . والنهى عن المنكر . أوجبه على الأمة كلها . بحيث يكون منها أئمة التوجيه الذين يكفونها

فى كل ناحية من النواحى المتربوبة حتى يعم الخير كل الأفراد :

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعرف وينهون عن المنكر . وأولئك هم المفلحون » . .

(٤) ولقد كان فى عهد سلفنا نظام يسمى بالحسبة

وكان المحتسبون يشرفون إشرافا تاما على كثير من الشئون . فلا يشذ شاذ . ولا ينحرف منحرف . إلا كانوا له بالمرصاد . يتولونه بالتأديب . والتهذيب كل حسب حالته .

فما كان يرى فى المجتمع إلا الخير الذى يدرج فيه الصغير . وينشأ عليه الكبير . .

وماذا علينا لو أننا أعدنا هذا النظام وطورناه حسب حالتنا الراهنة ؟

إننا نجعل رقابة على كثير من الشئون العامة . دون أن يجد أحد شيئا من الحرج .

فماذا علينا لو جعلنا رقابة على التصرفات الطائشة . والنزعات الفاحشة .

إننا إذ نفعل ذلك إنما نحاول إيجاد رأى عام مستنير ؛ يحب الخير والفضيلة ؛ ويمقت الشر والرذيلة

وبذلك نؤدى لله حقه ، ونرفع من معنويات الناس ، ونكتسب فى عداد المجاهدين :

« ما من نبي بعثه الله فى أمة قبلى ، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره . ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون . ويفعلون ما لا يؤمرون . فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن . ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

إن كثرة ما نرى من المساوىء . لا يصح أن يصرفنا عن واجبنا حيال علاجها ، والطب لها .

فالنفس الإنسانية مهما ران عليها ، تشعر بجوع روحي طالما كان هناك غذاؤها الروحي النظيف . .

وإن من سفه النفس . أن يخاف الإنسان من الجهر بالحق .

فإن الجهر بالحق لا يقدم أجلا ولا ينقص رزقا .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحقرن أحدكم نفسه .

فقالوا يا رسول الله : وكيف يحقر أحدنا نفسه ؟

قال : يرى أن عليه مقالا ثم لا يقول فيه . فيقول الله عز وجل يوم القيامة : ما منعك أن تقول فى كذا وكذا ؟

فيقول : خشية الناس .

فيقول : فإياى كنت احق أن تخشى » .

إن التقصير فى الماضى فى الاضطلاع بهذه الوظيفة . قد ترك فراغا

واسعا يجب أن يسد بجملة واسعة من رجالات الفكر والرأى . وحملة المشاعل المدى ، الذين يحرصون على النهوض بأمتهم ، ويجهدون دائبين فى تحقيق الامجاد لشعوبهم .

وليس بناء المصانع وتيسير وسائل التجارة . وحماية الأمة من العدو الخارجى . بأهم من تربية النفوس وإعدادها للحياة القوية الجادة التى تزخر بالفضائل والآداب .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع أصحابه على عبادة الله . وعلى الجهاد كما يبايعهم على القيام بهذا الواجب سواء بسواء .

عن جرير . قال : بايعت النبى صلى الله عليه وسلم . على السمع . والطاعة . والنصح لكل مسلم . .

قال أبو ذر : أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير :

أوصانى أن لا أخاف فى الله لومة لائم . وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مرا . .

وقال عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول الحق أينما كنا . لا نخاف فى الله لومة لائم . . .

إن على الآباء والأمهات والأساتذة وكل من يعنيهم أمر الدنيا والدين أن يجعل كل واحد منهم من نفسه قدوة حسنة ، وداعية إلى الله وهاتفا بالعظة والنصح لكل مسلم :

« ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله . وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين » .

* * *

اهل الجنـــــة

روى مسلم عن عياض المجاشعي
قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول :

« أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان
مقسط موفق ، ورجل رحيم رقيق
القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف
متعفف ذو عيال » .

الإسلام رسالة إنسانية سامية غايتها إسعاد البشر وتهيئتهم للحصول على أقصى ما يمكنهم الحصول عليه من الرقي المادي والأدبي .

ولا يتم ذلك إلا إذا سادت الروابط الأدبية وهيمنت العواطف الكريمة على كل فرد من أفراد المجتمع أعلاه وأدناه على السواء .

وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى أمور ثلاثة ، هي جماع الفضائل وسبيل الجنة وأساس نهضة الأمم ورقي الشعوب

(١) فعدل الحاكم بين رعاياه وحبه لشعبه وإخلاصه له وحنوه عليه ، من شأنه أن يوثق الصلة بين الحاكم والمحكوم . ويربط بينهما

برباط موثق لا تنفصم عروته ولا تهن قوته فتشيع الطمأنينة وتستقر الأوضاع ويمضى كل إلى غايته .

فبينما الحاكم يعمل دائبا على إصلاح أمته والنهوض بها إذ المحكوم يتجاوب معه ويضطلع بعبء الإصلاح عن رضى واختيار .

وقد أظل الجميع ألوية الأمن والسلام ومن ثم عظم الإسلام شأن الحاكم العادل ونوه به .

فيوم من أيام عدله فى ميزان حسناته خير من عبادة ستين سنة . قيام لياليها وصيام نهارها .

روى الطبرانى عن ابن عباس بسند حسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة » .

وهو رفيع المنزلة عظيم الجاه عند الله والناس .

روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا . إمام عادل وأبغض الناس إلى الله تعالى . وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر » .

والحاكم العادل مستجاب الدعوة وفى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله .

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين : الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا » .

وهو موطد السلطان ما بقى العدل ظلا له فإذا تقلص عنه ظله كان ذلك إيذانا بزوال حكمه وغروب شمسه .

روى أحمد عن أبى موسى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال :

« إن هذا الأمر فى قريش ما إذا استرحموا رحموا . وإذا حكموا عدلوا . وإذا قسموا أقسطوا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . لا يقبل منه صرف ولا عدل » :

بل الأمة التى يفشو فيها الظلم والبغى ويُغلب فيها الضعيف على أمره لا تستحق الحياة . وتسقط من رعاية الله .

روى الطبرانى عن ابن مسعود عن معاوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تقدس أمة لا يُقضى فيها بالحق . ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع » .

(٢) وكما أن الإسلام يهتم بالعدل الذى به إسعاد العباد وإنهاض البلاد فإنه كذلك يوجب مصاحبة الرحمة له .

وهى عاطفة كريمة تفيض على الحياة خيرا . وتوسعها برا وتملؤها رجاء وأملا .

وكم تكون الحياة جميلة مخصبة لو تفيأ الناس ظلالها وعاشوا فى كنفها.

ولقد حرص الإسلام أشد الحرص وأبلغه على أن يصبغ الحياة ويطبعها بطابع الرحمة حتى لا يشقى بها أحد ولا يضجر منها إنسان ولا يضيق بها مخلوق .

وما أروع ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » .

وواجب الآباء والهداة والمربين أن يستثيروا بواعث الحنان . ويغرسوا فى النفوس معانى الشفقة . ويتخذوا كل وسيلة من شأنها أن تخلق من الفرد إنسانا كريما يسع الناس بره وحسن خلقه .

ويوم أن يتم ذلك تسعد الدنيا وتنزل رحمات الله وبركاته على بنى الإنسان . وفى الحديث : « الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

(٣) وكما أن الحياة لا يستقيم لها أمر ولا يقام لها وزن إلا بالعدل والرحمة فهى كذلك فى أشد الحاجة إلى العفاف وضبط النفس .

وإنما يتحقق ذلك برياضة النفس رياضة حكيمة . وأخذها بالرفق وتوجيهها الوجهة الصالحة . وتعويدها العادات حسنة وتبعدها عما ينبغى أن تتنزه عنه من الصفات والعادات ، وفى هذا ذكها وفلاحها .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب معالى الأمور وأشرافها ويكره سفسافها » .

هذه هى المعانى الثلاثة التى تناولها الحديث : العدل والرحمة والعفاف.

وهى جديرة بأن يأخذ المسلمون بها أنفسهم ، ويقيموا عليها حياتهم حتى ينهضوا ويسعدوا ، وما قيمة الحياة بغير عدل وبغير رحمة وبغير عفاف ؟

التوكـــــل

« إذا سألت فاسأل الله . وإذا
استعنت فاستعن بالله »

« حديث شريف »

١ ـــ أول مقصد من مقاصد الإسلام تجريد التوحيد وإخلاص الدين لله وحده .

قال الله تعالى : « فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص »

وقال : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » .

وتجريد التوحيد لا يتم إلا بالتوجه الكلى لله من غير التفات إلى غيره .

ولهذا حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يربط القلوب بالله وحده .

فكان يعلم أصحابه التوكل على الله والثقة به ، والالتجاء إليه فيقول:

« إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك . . ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك » .

ويقول : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا .

كما كان يحذرهم أن ينهكوا حرمة التوحيد ويجنبهم كل ما هو ذريعة إلى الشرك .

فحظر عليهم الحلف بغير الله فقال : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » .

وروى البغوى عنه صلى الله عليه وسلم : « من حلف بغير الله فقد أشرك » .

بل كان يصحح ما كان يقع فى كلامهم من أغلاط ، حماية لجانب التوحيد .

روى الطبرانى فى معجمه « أنه كان فى زمن النبى — صلى الله عليه وسلم — منافق يؤذى المؤمنين .

فقال الصديق : قوموا بنا نستغيث برسول الله — صلى الله عليه وسلم — من هذا المنافق

فجاءوا إليه فقال : إنه لا يستغيث بى وإنما يستغاث بالله .

وقال بعض الأعراب : « ما شاء الله وشئت .

فقال : أجعلتنى لله ندا بل ما شاء وحده » .

٣ — وما دام التوحيد الخالص هو جوهر الاسلام فإليه كان كل ما اتصل به من صميم الاسلام ، وكل ما خالفه أو كل ذريعة إلى الشرك باطل دخيل فى دين الله .

وعلى هذه القاعدة نقول : إن التوسل ما دام لم يمس جانب التوحيد فهو توسل مشروع .

قال الله تعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » .

وقد جاء في السنة أمثلة لدعاء الله بأسمائه وصفاته نورد بعضها .

(أ) عن معاذ بن جبل . أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : « ياذا الجلال والإكرام . فقال : قد استجيب لك فسل تعطه . »

رواه الترمذي وحسنه

(ب) وعن أنس أنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو :

اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان ، بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام . ياحي ياقيوم .

فقال صلى الله عليه وسلم : « لقد سأل الله باسمه الأعظم » .

رواه أحمد وأصحاب السنن : أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وصححه الحاكم وابن حبان .

(ج) وعن بريدة أنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو ويقول :

« اللهم إني أسألك بأن اشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

فقال : والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى » .

رواه أصحاب السنن وصححه الترمذي وغيره

ويلحق بهذا التوسل الإيمان بالله والعمل الصالح ، جاء في القرآن حكاية عن أولي الألباب : « ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار »

وفي الصحيحين حديث النفر الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة .

فتوسل كل منهم بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة ونجوا . .

ومن هذا القبيل أن يطلب من الحي أن يدعو له .

وقد كانت الصحابة يسألون الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن عمر أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في العمرة . فأذن له وقال « فلا تنسنا يا أخي من دعائك » . رواه الترمذي .

وفي البخاري أن عمر استسقى بالعباس وقال :

« اللهم إنا كنا إذ أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون » .

ومعنى التوسل به أن يدعو هو وهم يدعون معه

وكان مما قاله العباس كما في الفتح « اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك . وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث »

ونظير هذا ما أخرجه النسائي وابن ماجة والترمذي وصححه : أن

أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم : يارسول الله : إنى أصبت فى بصرى فادع الله لى .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : توضأ وصل ركعتين ثم قل :
« اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد إنى أستشفع بك فى رد بصرى ، اللهم شفعه فى . وقال : فإن كان لك حاجة فمثل ذلك . فرد الله بصره »

والظاهر أن الأعرابى إنما توجه إلى الله بدعاء النبي له ودعائه لنفسه كما أشارت إلى ذلك الروايات .

أما إذا كان التوسل يخدش جانب التوحيد فهو باطل مردود .

كأن يتوسل بأحد من الخلق أو بحق أحد الصالحين أو بجاهه معتقدا أن للتوسل به تأثيرا فى حصول المطلوب .

وإنما كان هذا مجانبا لعقيدة التوحيد . لأن التوحيد يقتضى ألا فاعل ولا مؤثر إلا الله وحده وأن إرادة الله لاتتأثر بشيء . والله لا يفعل شيئاً لأجل أحد .

أما إذا كان المتوسل لا يعتقد أن للمتوسل به تأثيرا فى حصول المطلوب . بل يرى أن الكل من الله وحده ، وأن ما يفعله إنما هو مجرد مباشرة أسباب كمباشرة الأسباب العادية . فهذا لا يخدش عقيدة التوحيد ولا يصل إلى حد الشرك .

وقد كثر الخلاف وتشعب الجدل بين العلماء فى هذا النوع .

فن مانع . ومن مجوز

والذى تشهد له الأدلة . أن الحظر مقدم على الاباحة سدآ للذريعة . وبعدآ عن مظنة الشبهة . لاسيما فى هذه الناحية العقدية التى تمس صميم الدين .

وعندنا من الأدعية المأثورة الصحيحة . التى لم يختلف فيها . ما يغنينا عن هذه البدع المحدثة التى تعلق الناس بها حتى حجبوا عن نور النبوة وطمسوا جمال التوحيد .

* * *

حملة النور الإلهى

(العلماء ورثة الأنبياء)

« حديث شريف »

إن حملة النور لهم سمات خاصة وصفات يتميزون بها عن غيرهم من الناس .

ذلك أنهم الهداة إلى الله والدعاة إلى كلمته والقوامون على دينه والذائدون عن حرماته ، والواقفون على مفترق الطريق يرشدون الحيارى ، ويبصرونهم أعلام الطريق .

هؤلاء الذين يبلغون رسالات الله ، والذين اصطفاهم الله لحمل أمانته ودعوة الخلق للحق ، عرفوا قدر هذه الأمانة فوفوها حقها ووقفوا حياتهم لها ،
وضحوا بكل شيء من أجلها ،ولم تصرفهم عنها مباهج الدنيا ، ولا مفاتن الحياة ولا خدع الآمال . . .

عرف هؤلاء سنة الله فى الكون ، وحكمه فى الوجود ،وسره فى الخلق وجماله فى الطبيعة فامتلأت قلوبهم إيمانا به وحبا له ، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه ، وانحنت أصلابهم إكبارا لجلاله وإعظاما لجبروته ، وعفرت جباههم بالتراب تقربا إليه وتذللا بين يديه .

تأدب هؤلاء بأدب الله الذى أدبهم به فزهدوا فى الدنيا ، وهى فى أيديهم ، ولم تمتد أعينهم اليها وهى فى أيدى غيرهم فجادوا بها وهم أغنياء

وقزهوا عنها وهم أحوج مايكونون إليها . . .

اعتزوا بسلطان الله فلم يروا لغيره سلطانا ، فصدعوا بالحق ، ونابذوا الباطل ، وصرخوا فى المستضعفين : أن يتقووا ، وأهابوا بالمستعبدين أن يحطموا سلطان كل طاغية جبار ..

قويت ثقتهم بالله ، وامتدت قوتهم إلى النفوس الواهنة فأيقظت مشاعرها ، وأرهفت أحاسيسها ، وأمدتهم بالقوة والحماس . .

نظر هؤلاء إلى الناس على أنهم مجموعة من القوى ، والمواهب والملكات ، وأن عليهم أن يوجهوا هذه القوى وجهة الحق والخير والفضيلة ، وأن يأخذوا بها إلى المثل الأعلى لتصل الإنسانية إلى الغاية من الكمال فى هذه الحياة ولتستعد إلى كمال أسمى فى حياة أرغد وأسعد..

وأبرز صفات هؤلاء الربانيين معرفتهم بالنفوس البشرية معرفة تمكنهم من الطب لها ، وعلاج أدوائها ، وإنهم يقفون منها موقف الطبيب أثناء معالجته المريض فيأخذه بالرحمة ويذيقه مرارة الدواء باللين والكلمة الطيبة .

ارتفع مستوى هؤلاء فعملوا جاهدين على رفع مستوى من يخالطهم وسموا بهم عن النقائص والسفاسف والتفاهات ، وأيقظوا فيهم حاسة الخير وبواعث الأدب والنبل .

ومن صفاتهم أنهم يجمعون الشتات ويوحدون الكلمة ويقومون الصف . وينصاعون للحق ، ويحملون ماصدر من غيرهم على أحسن

معانيه ماوجدوا له فى الخير مذهبا ، لايحسدون على أحد ، ولا يضيقون به أو يحقدون عليه .

كبرت صدرهم فوسعوا الناس على اختلاف درجاتهم ببسط الوجه

هذه بعض سمات الذين يتصدرون الدعوة إلى الله ، ويتزعمون الحركة الربانية الهادية تعاليم الإسلام وسيرة السلف الصالح . .

فهل عرفها علماء الدعوة الإسلامية ؟ وهل أخذوا أنفسهم بها ؟

أكبر الظن أن كثيرا من هؤلاء يبعدون غاية البعد عن هذه الخلال بما عوق الإسلام عن النهوض وقعد بالمسلمين عن السير إلى الغاية الكريمة والأمل المرجو

لقد كان نبى الإسلام يخشى أن تنعدم مقاييس الكفاية عند المنتسبين للاسلام، وتضيع موازين الحقائق بينهم فيعدون من يستحق التأخير ويرفعون من هو جدير بأن يوضع فيقول صلوات الله وسلامه عليه :

« إن أخوف ما أخافه عليكم أئمة مضلون

وقد يرى بعض هؤلاء الاستعانة بالجهلة والسفهاء من الناس الذين لايحسنون الحكم على الأشياء والذين وصفهم الإمام على كرم الله وجهه بقوله

« همج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ».

فيضعف شأن الحق وتقل النصفة .

وحينئذ تطوى راية العدل ، وتنكس أعلام الهداية وتطمس معالم الطريق ، وتطل الفتن برأسها ويعظم شرها ويكبر ضررها وتفشوا الجهالة ، وتسود الضلالة ، ويتسلط الباطل ، ويتحقق ما قاله النبي الكريم . . .

« . . . حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

أعاذنا الله من الفتن ونجانا من الزيغ والزلل .

إن ربي قريب مجيب . .

توجيهات . . !

عن أبي سعيد الخدرى قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أوصنى . قال : « عليك بتقوى الله فانها جماع كل خير .

وعليك بالجهاد فإن رهبانية المسلمين .

وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه نور لك فى الأرض وذكر فى السماء.

واخزن لسانك إلا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان » .

تهذيب سلوك الأفراد وتوجيههم نحو المثل الأعلى هو الأسلوب الصحيح لايجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدور خطير فى الحياة وتسهم بنصيب كبير فى تزويدها بما هو أنفع وأرشد .

والدين بما له من سلطان على النفوس والقلوب وتأثير على المشاعر والأحاسيس وبما وضع من خطط عملية وتوجيهات حكيمة - يستطيع أن يحقق هذه الغاية ويبلغ هذا القصد دون تعثر أو انحراف .

والدين فى جملته وتفصيله ما هو إلا إرشاد لما يجب أن يكون عليه الانسان ليأخذ من الكمال بحظ وفر فى هذه الحياة ، وليعد نفسه لجوار ذى الجلال فى حياة أبقى وأرقى .

وفى هذا الحديث الذى نحن بصدده تتجلى هذه الحقيقة وتظهر بوضوح .

١ — ففي الأمر بملازمة التقوى ، أمر باتباع كل خير ومجانبة كل شر.

إذ أن التقوى ـ بمفهومها اللغوى ومدلولها الشرعى لا تحتمل غير هـذا المعنى ، فهى مأخوذة من الوقاية بمعنى الحفظ .

والانسان لا يقى نفسه ولا يحفظها إلا إذا أتى بما أمر الله به من فضيلة واجتنب ما نهى الله عنه من رذيلة .

وفى هذا سمو النفس وعروج بها فى معارج القدس والكمال .

ومن ثم عظم الشارع أمر التقوى وجعلها جماع كل خير ومصدر كل بر ، وأصل كل صلاح للأفراد والجماعات .

ولا بد لتحصيل التقوى ، من فقه فى دين الله ومعرفة ما فيه من سمو وحكمة

يضاف إلى ذلك قوة إرادة ومضاء عزيمة لحمل النفس على الاضطلاع بالتبعات والتكاليف .

وبالمعرفة من جانب والإرادة الحازمة من جانب آخر يستطيع المرء أن يبصر الطريق ويسير على الجادة ، دون تعثر أو انحراف .

وقد أشار القرآن الكريم ، إلى هذين الأمرين ، فى معرض الثناء على بعض الأنبياء ، فقال :

«واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار»

أى أنهم أولوا قوة فى الدين وبصر به

وفى الحديث ، يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه

«لن يبلغ أحدكم ، أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس »

٢ — ولا يكفى أن يجاهد الانسان نفسه من أجل حملها على الفضيلة وأخذها بها .

بل لا بد من الجهاد ، من أجل استقرار هذه المبادىء الكريمة والتمكن لها حتى تكون هى القاعدة العامة والعرف الذى يتقيد الناس به ، ويصدرون عنه .

وهذا هو المعبر عنه بالجهاد فى سبيل الله سبيل الله هو الطريق الموصل إلى مرضاته .

وهذا الجهاد يقتضى التضحية بالنفس والمال وكل عزيز وغال .

لأن محاربة الانحراف والشذوذ والعادات السيئة والتقاليد الفاسدة ، والأهواء المضلة والعقائد الزائفة ليس بالأمر السهل الذى يتم بكلمة تذاع أو مقال ينشر .

ومن أجل ذلك أطلق الشارع على محاربة المنكر ومحاولة تغييره لفظ الجهاد المأخوذ من الجهد والمشقة وجعل ثواب المجاهدين المغفرة والجنة

ولقد أراد نبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه أن يبين فى هذا الحديث حقيقة الرهبانية وأنها ليست اعتزال الناس ولا الانطواء على النفس ؛ ولا هجر ما أحل الله من الطيبات من الرزق ولا ترك ما أباحه من متع الحياة .

وإنما هى تضحية كريمة من أجل الحق واقتحام للشدائد فى سبيل الانسانية وتحمل للتبعات الجسام إعلاء لكلمة الله .

هذه هى معنى الرهبانية فى الاسلام وأنها عمل إيجابى ومخاطرة يتعرض الانسان فيها لاتلاف نفسه وإزهاق روحه ،أداء للواجب، وانتصاراً للحق .

أما معنى الرهبانية السلبى فليس من الاسلام فى شىء، لأنه لا يجلب خيرا ولا يمنع شراً، « لا رهبانية فى الإسلام » .

٣ ـ وكثيرا ما تعترى النفس الغفلة ويعرض لها الذهول والنسيان فهى فى حاجة الى من يذكرها إذا نسيت وينبهها إذا غفلت ويوقظ فيها حاسة الخير ، لتنبعث إلى غايتها دون توقف أو إبطاء .

وليس أنفع لها ولا أجدى عليها من تلاوة كتاب الله ومداومة الذكر، فهما ربيع القلوب وجلاء الأحزان والهموم .

إذا مرضنا تداوينا بذكركم وتترك الذكر أحيانا فننتكس

وذلك أن مناجاة الله عن طريق التلاوة والذكر تقوى العزائم وترهف المشاعر والأحاسيس وتسمو بالإنسان إلى الذروة من الروحانية والكمال .

فيبدو إنسانا متكاملا هينا لينا متفائلا لا ينى عن الخير ولا يقصر عن غاية .

٤ ــ وهذه المعانى الكريمة والوصايا الحكيمة لا ينتظم أمرها الا اذا ضبط الانسان نفسه وملك لسانه .

فما كان من خير نطق به ، وما كان من شر سكت عنه

رحم الله امرأ قال خيراً فغنم أو سكت فسلم » .

وكثير من الناس تخونهم ألسنتهم فيكثرون من القيل والقال ويخوضون فيما ينبغي لهم أن يتنزهوا عنه ويذيعون مقالة السوء ويحرفون الكلم ن مواضعه دون مراعاة لأدب القول ولا محافظة على أعراض الناس ولا مراقبة لله .

فضلا عن ضياع أوقاتهم وأوقات غيرهم فيما لا طائل تحته ولا غناء فيه .

وهؤلاء الثرثارون لا يرجى خيرهم ولا يؤمن شرهم ولا يستحقون الا الازدراء والتحقير فهم قذى العيون وشجى الحلوق

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم . « وهل يكب الناس يوم القيامة على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم »

ويقول أيضا : ان أبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون قالوا يارسول الله أما الثرثارون فقد عرفناهم فمن المتفيهقـــون ؟ قال المتكبرون »

هذه هي المعاني الطيبة التي جاء بها الاسلام والتي اتخذها سلفنا الصالح منهجا عمليا لسلوكهم فعاشوا في ظلها سعداء آمنين قدموا للدنيا أحسن ما عندهم وأخذوا منها أحسن ما فيها ؟ ؟

ثم خلف من بعدهم خلف جردوا هذه الألفاظ من معانيها فبقيت ألفاظا ميتة لا تحيي نفسا ولا تنير قلبا ولا تهدي حائرا

فهل للمسلمين أن يحيوا هذه الألفاظ بإحياء معانيها في نفوسهم حتى يهب الله لهم الجدة والحياة .

الدعوة الناجحة

لابد للدعوة التى يقدر لها البقاء والخلود أن تكون ملائمة للفطر السليمة وموافقة للعقول الصحيحة وصالحة فى مجال الحياة ، وأن يكون لها أثرها فى دنيا الناس

على أن المبادىء الكريمة والمثل العليا لا تكفى وحدها لإنهاض دعوة ونجاحها حتى يقوم على هذه المبادىء حماة يذودون عنها ويبذلون لها كل مافى وسعهم من طاقة وجهد ..

ولقد بدأ الإسلام يبشر الناس بالحياة الطيبة ويعدهم السعادة والرفاهية ويشرع لهم الأحكام التى ترفع رءوسهم وتطهر نفوسهم وتسمو بأرواحهم وتمكن لهم فى الأرض ، فوجد من القلوب الغلف والأكباد الغلاظ مقاومة عنيفة لم تلنه إلا بمقاومة أعنف وأشد .

وفى كتاب الله مايلفت الأنظار ويوجه العقول إلى هذا المعنى.

يقول الله سبحانه: لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس »

ففى إرسال الرسل بالبينات وإنزال الكتب إشارة إلى المبادىء القويمة التى لاتصلح الحياة إلا بها

وفى إنزال الحديد إشارة إلى القوة التى تحمى هذه المبادىء وتصونها

وأكثر المسلمين من عهود مضت لم يقوموا بواجبهم نحو التراث

الذى جعله الله أمانة فى أعناقهم وصلاحا لدنياهم ودينهم .

فتأولوا نصوص الكتاب وابتدعوا فى الدين وزادوا عليه وقصوا منه .

وضيقوا ما كان منه سهلا وحجروا ما كان واسعا وجمدوا على تقاليد بالية ،

وعكفوا على عادات ما أنزل الله بها من سلطان

وانتهى الأمر بكثير من المسلمين إلى أن صاروا فى طرف وكتاب الله وسنة رسوله فى طرف آخر .

ولم يعد الإسلام هو ذلك الحق القوى الذى ينزل الميدان ويصارع التيارات الفاسدة والأهواء المضلة والشهوات المردية والنزوات العمياء

لم تعد تلك القوة الباطشة التى تقذف بالباطل وتهوى به فى مكان سحيق .

وواجب المسلمين اليوم إذا كانوا قد استيقظوا من سباتهم وأرادوا أن يأخذوا مكانهم ويستردوا ما فقد منهم أن يرجعوا إلى الوحى الإلهى وأن يعودوا إلى هدى الكتاب والسنة وأن يلفظوا كل ما عداهما من الخرافات، والترهات والأضاليل والأباطيل . وأن يقيموا حياتهم على هذا النهج، الصالح الكريم .

فيكون واقعهم قرآنا حيا يمشى بين الناس ؛ وواجبهم أن يعرفوا

قدر هذه التعاليم وأثرها فى حاضرهم ومستقبلهم بعد أن عرفوا قدرها فى ماضيهم،وأن يفدوها بأنفسهم وأموالهم ويكونوا لها سياجا منيعا يذودون عنها ويكافحون من أجلها .

إنه لا وجود للمبادىء إلا بقدر مافيها من صلاحية وبقدر ماتقدم للانسانية من خير ،وإنه ليس فى دنيا الأقوياء اليوم مكان للضعفاء والواهنين

فلنتصفح تاريخنا ولننظر إلى الأعمال العظيمة التى قام بها أجدادنا الأمجاد.

ألم يتركوا لنا الميراث الضخم من العلوم والفنون والمعارف وغيرها من أنواع الثقافات الإنسانية ؟ ألم يشيدوا هذه الحضارة الكبرى التى تعد من أكبر المفاخر وأعظمها ؟

ألم يغيروا مجرى التاريخ ويوجهوا الحياة وجهة للروح فيها نصيب؟؟

إن أجدادنا سادوا الشعوب وقادوا الأمم فلم تسقط لهم راية ولم يطو لهم علم ولم يجبنوا فى غزو أو يضعفوا فى كفاح أو يقصروا فى مكرمة مهما كلفهم ذلك من تضحيات ومهما بذلوا من جهود . .

لقد استخلفهم الله فى الأرض فكانوا أمنا للخائف ونصفة للمظلوم وقوة للضعيف وغنى للفقير ، وعينا ساهرة على مصالح الناس ويدا رحيمة تمسح آلامهم وتخفف عنهم أوزارهم فسعدت بهم الدنيا واطمأنت بهم الحياة .

نعم لنقلب صفحات تاريخنا المشرق ولنأخذ منه قبسا ينير لنا الطريق ويهدينا سواء السبيل .

لنجعل حاضرنا امتداداً للماضي المجيد ولا نطمع أن نسعد غيرنا ونحن لم نسعد بعد ، ففاقد النور لا يستنير به غيره .

إنه الله جلت قدرته كما أبقى أسباب الحياة المادية حتى لا يتوقف سير الحياة أبقى كذلك نبع الحياة الروحية حتى لا ينقطع الإنسان عن الله فلا يضل ولا يشقى . . !!

والمسلمون وحدهم المسئولون عن تبليغ هذه الرسالة الروحية السامية وهم المنتدبون من الله لحمايتها والذياد عنها ، وقد أعطاهم الله الكبير من أسباب النجاح

وإنما تعوزهم الإرادة القوية والعزيمة المصممة والعمل الدائب والسعي الحثيث . .

إن بين أيديهم من الحقائق ولهم من التجارب ما يمكنهم — لو أرادوا — أن ينتفعوا بها وأن يبلغوا السمو والرفعة ويحلقوا في سماء السؤدد ، والمجد .

إنهم اليوم بين أن يؤدوا واجبهم ويضطلعوا بما حملوا من أعباء الرسالة وحينئذ يبسط الله لهم يده بالمعونة ويبوئهم مبوأ صدق ويجتبيهم للزعامة التي وعدهم بها .

وبين أن ينصرفوا عن مهمتهم إلى محقرات الأعمال وسفاسف الأمور فيقبض الله يده عنهم ويكلهم إلى أنفسهم ثم يستبدل بهم قوما « يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » .

حكمة الحج

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه »

الحج هو قصد مكة ، لأداء عبادة الطواف والسعي والوقوف بعرفة ، وسائر المناسك ، استجابة لأمر الله ، وابتغاء مرضاته .

وهو أحد أركان الإسلام الخمسة ، وفرض من الفرائض التي علمت من الدين بالضرورة كما أنه من العبادات القديمة التي أجمعت الشرائع الإلهية على اعتبارها من دين الله ، وكلفت به الأمم جميعاً : « لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه » .

وقد رغب الشارع في أداء هذه الفريضة فاعتبرها من أفضل الأعمال فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الأعمال؟ قال : « إيمان بالله ورسوله. قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم جهاد في سبيل الله. قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم حج مبرور » .

والحج المبرور هو الحج الذي لا يخالطه إثم ، وقال الحسن : أن يرجع زاهدا في الدنيا ، راغباً في الآخرة .

وعن الحسن بن علي أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني جبان ، وإني ضعيف ، فقال : هلم إلى جهاد لا شوكة فيه : الحج .

ومن ثم كان للحجاج عند الله المنزلة الرفيعة ، والمقام المحمود ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحجاج والعمار وفد الله ، إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم » .

وقد يبدو بادئ ذي بدء أن الحج عبادة رمزية غير معقولة المعنى ، ولا ظاهرة الحكمة . وأن ما يأتيه الإنسان من أعمال إنما هو امتثال للامر ، وإظهار للعبودية ، وقيام بحق الله . ولكنه عند التأمل تتجلى اسراره ، وتظهر آثاره . وتنكشف حكم الله فى تشريعه ، وإنه ما كان ليشرع لولا ما فيه من خير ومنافع للناس .

فهو نوع من السلوك ، ولون من ألوان التدريب العملى على مجاهدة النفس من أجل الوصول إلى المثل الأعلى ، والاندماج فى حياة روحية خالصة ، تمتلئ فيها القلوب بحب الله . والإخبات له ، وتنطلق الحناجر وهاتفة بذكره فى نشيد علوى خالص لله « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

بينما يرتدى المرء ملابس خالية من الزينة ، ومن كل ما يثير فى النفس دواعى العجب والخيلاء ..

يقول الله تعالى : « الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله »

تلهم هذه الآية أن المرء حينما يدخل فى اعمال الحج يجب عليه ان يعيش فى جو من العفاف والأدب العالى ، فلا يتدلى إلى رفث ، ولا يميل إلى فسوق ، ولا ينطق بكلمة طائشة ، او ينظر نظرة فاحشة ، كما تشير

ايضاً إلى فعل الخير ، وهو عمل إيجابي يجمل بكل مؤمن أن يهتم به ، ويحرص عليه .

على ان شعائر الحج تثير في النفس ذكريات عذابا ، إذ أنها ترتبط بالواقع التاريخي لأبي الأنبياء إبراهيم ، وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً .

والحج يلقى على هذه الذكريات من الظلال والألوان ما يجعلها شاخصة في العيون ومائلة في الأذهان ..

.. إن ابراهيم هو الذي رفع قواعد البيت واسماعيل .

وهو أول بيت وضع لعبادة الله في الأرض ، ومن ثمّ أمر الحنفاء أن يتوجهوا إليه كلما توجهوا إلى الله في صلاتهم وان يتلاقوا عنده كل عام يحدوهم الحب في الله ، والاجتماع عليه ، ليعلنوا تضامنهم ، واتفاقهم على إقامة شريعة الله الواحد .

ولا تزال النفس الإنسانية تهفو إلى مصدر إشعاعها الأول ، وتحن إليه ، وتقيم لذلك المعالم المادية . وتتخذ منها حافزاً يرقى بحاضرها . وينهض بها إلى حياة أهدى وأزكى .

والقرآن يبرز هذا المعنى . فهو حينما يتحدث عن الحج وشعائره يتحـــدث عن إبراهيم مؤسس هذا البيت . ومقيم دعائم التوحيد في الأرض .

« وإذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت أن لاتشركْ بي شيئاً . وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم » ..

« إن أوّلَ بيت وُضِع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ..

وفى الحديث : « كونوا على مشاعركم ، فإنكم على إرث من إرث ابراهيم » ..

ولقد جاشت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانفعلت بهذه الذكريات ، فبكى وهو يقبل الحجر ، وقال : « ياعمر ، هنا تسكب العَبَرات » .

وفى هذه الأماكن وقع أكبر حادث فى التاريخ الانسانى تغلب فيه جانب الله على كل جانب. وانتصر الإيمان على حظوظ النفس وشهواتها، وكانت التضحية من أب كبير حان ، وابن حدث صغير أسلم نفسه قربانا لله عز وجل .

وفى هذا ما يلفت أنظار المسلمين إلى أن التضحية من أجل الحق ؛ والفناء فى سبيل الله هو عين البقاء . وأنه بقدر ما تعظم التضحية بقدر ما يعظم الجزاء .

وأن عليهم أن يطاردوا الشر حيث كان ، وأن هذه هى غاية الرسالات الإلهية .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم .

« إنما جُعل الطوافُ بالبيت والسعيُ بين الصفا والمروة ورمى الجمار لإقامة ذكر الله عز وجل » .. ويقول ابن عباس :

« الشيطان — ترجمون ، وملة — أبيكم تتبعون » ..

وأى مظهر أجل وأروع من تجمع طوائف من البشر ليست بينهم أرحام ولا أنساب ، فى صعيد واحد ،وقد نسوا أحقادهم ، وأضغانهم، ونزواتهم ، وشهواتهم ، وكلهم الضراعة إلى الله ، يهتفون باسمه . ويذكرونه بالتقديس والتسبيح ، والإكبار والإجلال ، ويلهجون بالثناء عليه ، قائلين : اللهم لك الحمد كالذى نقول ، وخيرا مما نقول .

« اللهم لك صلاتى ونسكى ، ومحياى ومماتى ، وإليك مآبى ، ولك ربى تراثى . اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر ، اللهم إنى أعوذ بك من شر ما تهبُّ له الريح » .

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » .

« اللهم اجعل فى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى قلبى نورا » .

« اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى » .

لننظر إلى أرض الله الواسعة، ولنستحضر كل المؤتمرات والتجمعات، فهل نجد مجتمعا أطهر أو أبر من هذا المجتمع ، مع هـذا العدد الوفير ، والكثرة الكاثرة ؟.

إن الله سبحانه ليبارك هذا الجمع ، ويتجلى عليه بالرحمة والغفران .

قال أنس : وقف النبي صلى الله عليه وسلم وقد كادت الشمس أن تورّب ، فقال : يا بلال أنصت لى الناس ، فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأنصت الناس ، فقال :

معشر الناس :

« أتانى جبريل عليه السلام آنفا ، فأقرأنى السلام ، وقال : إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر الحرام ، وضمن عنهم التبعات ، فقام عمر بن الخطاب ، فقال : يارسول الله : هذا لنا خاصة ؟ فقال : هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة ، فقال عمر رضى الله عنه : كثر خير الله وطاب » . .

* * *

تصويب

سطر	صفحة	خطأ	صواب
١	١٣	الروج	الروح
٧	١٣	الانحراف	الانحرافات
١٠	١٨	سماحه	وسماحة
٢٠	٢٠	كل هذه	جمع كل هذه
١٠	٢٢	نقيم	ولتقيم
٩	٢٦	سن سنة	من سن سنة
٤	٣٥	أخير	آلله خير
٧	٤٠	يضطر	تضطر
٢	٤١	لنحصل	لتحصل
١٧	٤٨	الطلاج	الفلاح
١٣	٥٠	المؤأةخا	المؤاخاة
٠	٥٣	نكرر على المسلمين	نكرر ان على المسلمين
١	٦٠	هذا	هكذا
١١	٩٢	على	تحذف
١	٩٣	الرفاهية	الرفاهية لهم
٥	١٠٦	توفيق	توثيق
٧	١٠٦	قوم	قدم
١٥	١٠٦	التقى	النقى
١١	١١٧	لتبخلون وتجبنون	تبخلون وتجبنون
٢	١١٧		كما يقتضي أن لا يغير

سطر	صفحة	الخطأ	الصواب
١٦	١٢٨	كذا	هكذا
١٦	١٢٨	بحالات الصبر لا يستغنى عنه	بحالات الصبر وجدنا أنه لا يستغنى عنه
١٦	١٢٨	الاقامة	الأمامة
٦	١٤٥	بآياتكم	بآبائكم
١٦	١٤٥	لا يستغيث بى	لا يستغاث بى
١	١٤٧	التوسل الايمان	التوسل بالإيمان
١	١٤٩	بحوز	يجوز
١٣	١٥٢	حكمه	حكمته
٣	١٥٤	صدرهم	صدورهم
٣	١٥٤	ببسط الوجه	ببسط الوجه وحسن الخلق
٥	١٥٤	تعاليم الاسلام	مقتبسة من تعاليم الإسلام
١٤	٥٨	وفر	وافر
٤	١٥٩	لا يبقى	لا يتقى
٤	١٥٩	بها	بما
١٥	١٥٩	فرض	معرض
٣	١٦٠	التمسكن	التمكين
٨	١٦٦	لنا الميراث	لنا هذا الميراث
١١	١٦٦	للروح فيها نصيب	للروح فيها نصيب والجسد فيها نصيب
١٤	١٦٦	مه	مهما
٧	١٦٧	الكبير	الكثير

كتب للمؤلف

١ - فقه السنة	٦ أجزاء	الناشر مكتبة الآداب
٢ - باقة الزهر		الناشر دار الكتاب العربي

تحت الطبع

فقـــه السنة الجزء السابع

التوزيع في الجمهورية العراقية

مكتبة المثنى - بغداد